

من مطبوعات الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

شرح العقيدة الواطية

لشيخ الإسلام ابن تيمية

تأليف العلامة

محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

راجعة الأستاذ الكبير

عبد الرزاق عفيفي

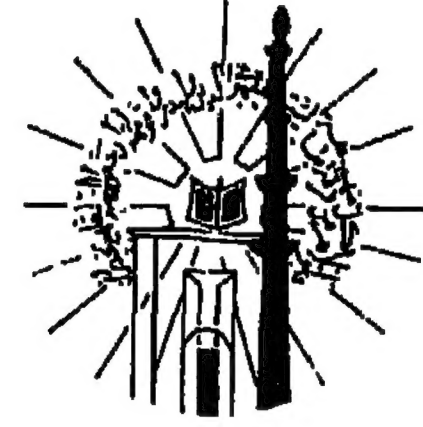
رئيس أنصار السنة المحمدية

توزيع وإهداء

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

اهداءات ٢٠٠١

أ.د. محمود كـيـابـه
جراح بالمستشفى الملكي المصري



من مطبوعات الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

شرح الفقه الوارطية

لشيخ الإسلام ابن تيمية

تأليف العلامة

محيي خليل لهراس

المدرس بكلية أصول الدين

راجع الأستاذ الكبير

عبد الرزاق عفيفي

رئيس أنصار السنة المحمدية

توزيع وإهداء

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الطبعة الرابعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا اله الا الله قيوم السموات والارضين وأصلى وأسلم على رسوله محمد خاتم الانبياء والمرسلين وبعد : فكتاب شرح العقيدة الواسطية لفضيلة الاستاذ الشيخ محمد خليل هراس من أنفس الشروح ، وأوضحها بيانا وأخصرها عبارة ، الا أنه وقع في الطبعة الاولى بعض أخطاء استدركت في الطبعة الثانية بإرشاد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكة العربية السعودية ، جزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا وبذلك كانت هذه الطبعة ممتازة عن سابقتها . أسأل الله أن ينفع بها وبشرحها المسلمين .

عبد الرازق عفيفي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ،
والصلاة والسلام على اشرف المرسلين ، نبينا محمد ، عبد الله
ورسوله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

(اما بعد) فلما كانت العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن
تيمية رحمه الله من اجمع ما كتب في عقيدة اهل السنة والجماعة
مع اختصار في اللفظة ودقة في العبارة ، وكانت تحتاج في كثير من
مواضعها الى شرح يجلى غوامضها ويزيح الستار عن مكنون
جواهرها ، ويكون مع ذلك شرحا بعيدا عن الاسهاب والتطويل
والاملال بكثرة النقل حتى يلائم مدارك الناشئين ويعطيهم زبدة
الموضوع في سهولة ويسر .

فقد استخرت الله تبارك وتعالى ، واقدمت على هذا العمل
رغم كثرة الشواغل وزحمة الصوارف ، سائلا الله عز وجل ان
ينفع به كل من قراه وان يجعله خالصا لوجهه انه قريب مجيب .

محمد خليل هراس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اختلفت العلماء في البسمة ، هل هي آية من كل سورة افتتحت بها ، او هي آية مستقلة أنزلت ، للفصل بها بين السور ، وللتبرك بالابتداء بها ، والمختار القول الثانى .

واتفقوا على انها جزء آية من سورة النمل وعلى تركها في أول سورة براءة لانها جعلت هي والانفال كسورة واحدة .

والباء في بسم للاستعانة ، وهي متعلقة بمحذوف قدره بعضهم فعلا وقدره بعضهم اسما ، والقولان متقاربان وبكل ورد القرآن قال تعالى (اقرأ باسم ربك) وقال (باسم الله مجريها) .

ويحسن جعل المقدر متأخرا ، لان اسم أحق بالتقديم ولان تقديم الجار والمجرور يفيد اختصاص الاسم الكريم بكونه متبركا به ، والاسم هو اللفظ الموضوع لمعنى تعيينا له او تمييزا .

واختلف في أصل اشتقاقه ، ف قيل انه من السمة بمعنى العلامة وقيل من السمو وهو المختار وهمزته همزة وصل ، وليس الاسم نفس المسمى كما زعم بعضهم ، فان الاسم هو اللفظ السدال ، والمسمى هو المعنى المدلول عليه بذلك الاسم .

وليس هو كذلك نفس التسمية فانها فعل المسمى ، يقال سميت ولدى محمدا مثلا .

وقول بعضهم ان لفظ الاسم هنا مقحم لان الاستعانة انما تكون بالله عز وجل لا باسمه ، ليس بشيء ، لان المراد ذكر الاسم الكريم باللسان كما في قوله (سبّح اسم ربك الاعلى) أى سبّحه ناطقا باسم ربك متكلما به ، فالمراد التبرك بالابتداء بذكر اسمه تعالى — واسم الجلالة ، قيل انه اسم جامد غير مشتق ، لان الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها ، واسمه تعالى قديم والقديم لا مادة له ، فهو كسائر

الاعلام المحضة التي لا تتضمن صفات تقوم بمسمياتها .

والصحيح انه مشتق ، واختلف في مبدأ اشتقاقه ، فقليل من آلِه يَأْلَه الْوَهَة وإِلَاهَة وَالْوَهِيَّة . بمعنى عبد عبادة ، وقليل من آلِه بكسر اللام يَأْلَه بفتحها ألِهاً اذا تحير ، والصحيح الاول ، فهو إلَه بمعنى مَالُوهُ اى معبود ، ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما : الله ذو الإِلَهِيَّة والعبودية على خلقه أجمعين ، وعلى القول بالاشتقاق يكون وصفا في الاصل ، ولكن غلبت عليه العَلَمِيَّة فتجرى عليه بقية الاسماء أخبارا وأوصافا ، يقال : الله رحمن رحيم سميع عليم ، كما يقال : الله الرحمن الرحيم السخ .

والرحمن الرحيم اسمان كريمان من أسمائه الحسنَى دالان على اتصافه تعالى بصفة الرحمة ، وهى صفة حقيقية له سبحانه على ما يليق بجلاله ولا يجوز القول بأن المراد بها لازمها كارادة الاحسان ونحوه كما يزعم المعطلة ، وسيأتى مزيد بيان لذلك ان شاء الله .

واختلفت في الجمع بينهما فقليل المراد بالرحمن الذى وسعت رحمته كل شىء فى الدنيا ، لان صيغة فعلاَن تدل على الامتلاء والكثرة ، والرحيم الذى يختص برحمته المؤمنين فى الآخرة وقليل العكس .

وقد ذهب العلامة ابن القيم رحمه الله الى ان الرحمن دال على الصفة القائمة بالذات ، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم ، ولهذا لم يجرى الاسم الرحمن متعديا فى القرآن ، قال تعالى (وكان بالمؤمنين رحيما) ولم يقل رحمانا ، وهذا أحسن ما قيل فى الفرق بينهما .

وروى عن ابن عباس انه قال : هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر ، ومنع بعضهم كون الرحمن فى البسملة نعتا لاسم الجلالة لانه علم آخر لله لا يطلق على غيره والاعلام لا ينعت بها .

والصحيح انه نعت له باعتبار ما فيه من معنى الوصفية فالرحمن

الْحَمْدُ لِلَّهِ

اسمه تعالى ووصفه ولا تنافي اسميته وصفيته ، فمن حيث هو صفة جري تابعا على اسم الله ، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع بل ورود الاسم العلم كقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) (الْحَمْدُ لِلَّهِ) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة عليّ فهو أقطع أتر محقوق البركة » وورد مثل ذلك في البسملة ولهذا جمع المؤلف بينهما عملا بالروايتين ولا تعارض بينهما فان الابتداء قسمان حقيقي واضافي والحمد ضد الذم يقال حمدت الرجل أحمده حمدا ، ومحمدا ومحمدة فهو محمود وحميد ، ويقال حمد الله بالتشديد اثني عليه المرة بعد الاخرى وقال الحمد لله .

والحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري ، نعمة كان أو غيرها ، يقال حمدت الرجل على أنعامه وحمدته على شجاعته ، واما الشكر فعلى النعمة خاصة ويكون بالقلب واللسان والجوارح قال الشاعر :

أَفَادَتَكُمْ النُّعْمَاءُ مِنِّْي ثَلَاثَةً يَدِي وَلِسَانِي وَالْخَمِيرَ الْمُحَجَّبَا

وعلى هذا فبين الحمد والشكر عموم وخصوص من وجه ، يجتمعان في الثناء باللسان على النعمة ، وينفرد الحمد في الثناء باللسان على ما ليس بنعمة من الجميل الاختياري ، وينفرد الشكر بالثناء بالقلب والجوارح على خصوص النعمة . فالحمد أعم متعلقا وأخص آلة والشكر بالعكس .

واما الفرق بين الحمد والمدح فقد قال ابن القيم ان الحمد اخبار عن محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه فلا بد فيه من اقتران الارادة بالخبر بخلاف المدح فانه اخبار مجرد ، ولذلك كان المدح أوسع

الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ .

تناولا لانه يكون للحى وللميت وللجماد أيضا .

وال في الحمد للاستغراق ، ليتناول كل أفراد الحمد المحققة والمقدرة وقيل للجنس ومعناه أن الحمد الكامل ثابت لله ، وهذا يقتضى ثبوت كل ما يحمد عليه من صفات كماله ونعموت جماله ، اذ مَنْ عَدِمَ صفات الكمال فليس بمحمود على الاطلاق ، ولكن غايته أن لا يكون محمودا من كل وجه وبكل اعتبار بجميع أنواع الحمد الا من حازم صفات الكمال جميعها .

الرسول في اللغة هو من بعث برسالة . يقال أرسله بكذا ، اذا طلب اليه تأديته وتبليغه ، وجمعه رسل بسكون السين ، ورسول بضمها وفي لسان الشرع انسان ذكر حر أوحى اليه بشريع وأمر بتبليغه ، فان أوحى اليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبي ، فكل رسول نبي ولا عكس فقد يكون نبيا غير رسول .

والمراد بالرسول المضاف الى ضمير الرب هنا محمد صلى الله عليه وسلم . والهدى في اللغة : البيان والدلالة كما في قوله تعالى : (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) فان المعنى بيئنا لهم ، وكما في قوله (أنا هديناه السبيل أما شاكرا وأما كفورا) .

والهدى بهذا المعنى عام لجميع الناس ، ولهذا يوصف به القرآن كما في قوله تعالى (ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) ويوصف به الرسول صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) .

وقد يأتي الهدى بمعنى التوفيق والالهام ، فيكون خاصا بمن يشاء الله هدايته ، قال تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) ولهذا نفاه الله عن رسوله ، قال تعالى (انك لا تهدي

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً

من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) .

والمراد بالهدى هنا كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الاختيارات الصادقة والایمان الصحيح والعلم النافع والعمل الصالح .

والدين يأتى لعدة معان ، منها الجزاء كما فى قوله تعالى (مالك يوم الدين) ومنه قولهم (كما يدين الفتى يدان) .

ومنها الخضوع والانقياد ، يقال : دان له بمعنى ذل وخضع ، ويقال دان الله بكذا أو على كذا بمعنى اتخذ دينا يعبد به .

والمراد بالدين هنا جميع ما أرسل الله به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاحكام والشرائع ، اعتقادية كانت أم قولية أم فعلية ، و اضافته الى الحق من اضافة الموصوف الى صفته ، أى الدين الحق ، والحق مصدر حق يحق اذا ثبت ووجب . فالمراد به الثابت الواقع ، ويقابله الباطل الذى لا حقيقة له .

اللام فى قوله ليظهره لام التعليل وهى متعلقة بأرسل ، وهو من الظهور بمعنى العلو والغلبة ، أى لجعله عاليا على الاديان كلها بالحجة والبرهان . وال فى الدين للجنس ، فيدخل فيه كل دين باطل ، وهو ماعدا الاسلام . والشهيد فعيل ، وهو مبالغة من شهد ، وهو اما من الشهادة بمعنى الاخبار والاعلام ، أو من الشهادة بمعنى الحضور والمعنى (وكفى بالله شهيدا) مخبرا بصدق رسوله أو حاضرا مطلعا لا يغيب عنه شيء .

والمعنى الاجمالى لما تقدم أن جميع اوصاف الكمال ثابتة لله على اكمل الوجوه وأتمها .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

ومما يحمد عليه سبحانه نعمه على عباده التي لا يحصى أحد من الخلق عدها . وأعظمها إرساله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين ، وبشرى للمتقين ، ليظهره على جميع الأديان بالحجة والبرهان ، والعز والتمكين والسلطان ، وكفى بالله شهيدا على صدق رسوله وحقيقة ما جاء به .

وشهادته سبحانه تكون بقوله وفعله وتأنيده لرسوله بالنصر والمعجزات والبراهين المتنوعة على أن ما جاء به هو الحق المبين .

الشهادة : الإخبار بالشئ عن علم به واعتقاد لصحته وثبوته ، ولا تعتبر الشهادة إلا إذا كانت مصحوبة بالإقرار والاذعان وواطأ القلب عليها اللسان ، فإن الله قد كذب المنافقين في قولهم (نشهد أنك لرسول الله) مع أنهم قالوا بالسنتهم .

ولا اله الا الله هي كلمة التوحيد التي اتفقت عليها كلمة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، بل هي خلاصة دعواتهم وزبدة رسالاتهم ، وما من رسول منهم الا جعلها مفتتح أمره وقطب رحاه ، كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا (لا اله الا الله) فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل » .

ودلالة هذه الكلمة على التوحيد باعتبار اشتغالها على النفس والاثبات المقتضى للحصر وهو أبلغ من الاثبات المجرد ، كقولنا الله واحد مثلا فهي تدل بصدرها على نفى الألوهية عما سوى الله تعالى ، وتدل بعجزها على اثبات الألوهية له وحده .

ولابد فيها من اضرار خبر تقديره لا معبود بحق موجود الا الله ، وأما قوله وحده لا شريك له : فهو تأكيد لما دلت عليه كلمة

إقراراً بهِ وتوحيداً ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

التوحيد وقوله اقراراً به مصدر مؤكد لمعنى الفعل اشهد ، والمراد اقرار القلب واللسان .

وقوله توحيداً أى اخلاصاً لله عز وجل فى العبادة ، فالمراد به التوحيد الارادى الطلبى المبني على توحيد المعرفة والاثبات .

وجعل الشهادة للرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة والعبودية مقرونة بالشهادة لله بالتوحيد للاشارة الى انه لا بد من كل منهما ، فلا تغنى احدهما عن الاخرى ، ولهذا قرن بينهما فى الاذان وفى التشهد . وقال بعضهم فى تفسير قوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) يعنى لا اذكر الا ذكرت معنى .

وانما جمع له بين وصفى الرسالة والعبودية لانهما اعلى ما يوصف به العبد « والعبادة هى الحكمة التى خلق الله الخلق لاجلها كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فكمال المخلوق فى تحقيق تلك الغاية ، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ، ولهذا ذكر الله نبيه بلقب العبد فى اسمى احواله واشرف مقاماته كالاسراء به وقيامه بالدعوة الى الله والايحاء اليه والتحدى بالذى انزل عليه ، ونبه بوصف العبودية أيضاً الى الرد على اهل الغلو الذين قد يتجاوزون بالرسول صلى الله عليه وسلم قدره ويرفعونه الى مرتبة الالهوية . كما يفعل ضلال الصوفية قبّحهم الله ، وقد صرح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « لا تطرونى كما اطرت النصارى ابن مريم ، وانما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » والمقصود ان هذه الشهادة تتضمن اعتراف العبد بكمال عبوديته صلى الله عليه وسلم لربه وكمال رسالته ، وانه فاق جميع البشر فى كل خصلة كماله ، ولا تتم هذه الشهادة حتى يصدقته العبد فى كل ما اخبر به ، ويطيعه فى

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

كل ما أمر به ، وينتهى عما نهى عنه .

الصلاة في اللغة الدعاء ، قال تعالى « وَصَلَّ عَلَيْهِمْ أَنْ صَلَاتِكَ سَكَنَ لَهُمْ » وأصبح ما قيل في صلاة الله على رسوله هو ما ذكره البخاري في صحيحه عن أبي العالية قال : صلاة الله على رسوله ثناؤه عليه عند الملائكة .

والمشهور أن الصلاة من الملائكة الاستغفار كما في الحديث الصحيح « والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي فيه » يقولون اللهم اغفر له اللهم ارحمه « ومن الأدميين التضرع والدعاء

وآل الشخص هم من يمتون إليه بصلة وثيقة من قرابة ونحوها وآله صلى الله عليه وسلم يراد بهم أحيانا من حرمت عليهم الصدقة وهم بنو هاشم وبنو المطلب ويراد بهم أحيانا كل من تبعه على دينه ، وأصل (آل) أهل ، أبدلت الهاء همزة فتوالت همزتان فقلبت الثانية منهما ألفا ويصغر على أهيل أو أويل ، ولا يستعمل إلا فيما شرف غالبا فلا يقال آل الاسكاف وآل الحجام ، والمراد بالصحب أصحابه صلى الله عليه وسلم وهم كل من لقيه حال حياته مؤمنا ومات على ذلك .

والسلام اسم مصدر من سلم تسليما عليه ، بمعنى طلب له السلامة من كل مكروه ، وهو اسم من أسمائه تعالى ، ومعناه البراءة والخلاص من النقائص والعيوب أو الذي يسلم على عباده المؤمنين في الآخرة .

تَسْلِيماً مَزِيداً . أَمَّا بَعْدُ فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ : أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ،

ومزيداً صفة لتسليماً وهو اسم مفعول من زاد المتعدى والتقدير مزيداً فيه (أما بعد) كلمة يؤتى بها للدلالة على الشروع في المقصود ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعملها كثيراً في خطبه وكتبه . وتقديرها عند النحويين مهما يكن من شيء بعد . والاشارة بقوله (هذا) الى ما تضمنه هذا المؤلف من العقائد الايمانية التي اجملها في قوله (وهو الايمان بالله السخ) والاعتقاد مصدر اعتقد كذا اذ اتخذه عقيدة له ، بمعنى عقد عليه الضمير والقلب ودان لله به ، واصله من عقد الحبل ، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم .

والفرقة بكسر الفاء الطائفة من الناس ، ووصفها بأنها الناجية المنصورة اخذاً من قوله عليه السلام (لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوره لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله) .

ومن قوله في الحديث الآخر « ستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة » وهي من كان على مثل ما انا عليه اليوم واصحابي » .

وقوله (اهل السنة والجماعة) بدل من الفرقة ، والمراد بالسنة الطريقة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قبل ظهور البدع والمقالات . والجماعة في الاصل القوم المجتمعون ، والمراد بهم هنا سلف هذه الامة من الصحابة والتابعين الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

هذه الامور الستة هي اركان الايمان فلا يتم ايمان أحد الا اذا

وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْإِيمَانُ
بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ .

آمن بها جميعا على الوجه الصحيح الذى دل عليه الكتاب والسنة ،
فمن جحد شيئا منها أو آمن به على غير هذا الوجه فقد كفر ، وقد
ذكرت كلها فى حديث جبريل المشهور حين جاء الى النبى صلى الله
عليه وسلم فى صورة اعرابى يسأله عن الاسلام والايمان والاحسان ،
فقال « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالبعث بعد
الموت وبالقدر خيره وشره ، حلوه ومره من الله تعالى .

(والملائكة) جمع ملاك وأصله مأك من الألوكه وهى الرسالة
وهم نوع من خلق الله عز وجل أسكنهم سماواته ، ووكلمهم بشئون
خلقه ووصفهم فى كتابه بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
ما يؤمرون ، وأنهم يسبحون له بالليل والنهار لا يفترون . فيجب علينا
الايمان بما ورد فى حقهم من صفات وأعمال فى الكتاب والسنة ،
وَالْإِيمَانُ عَمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ ، فان هذا من شئون الغيب التى لا
نعلم منها الا ما علمنا الله ورسوله .

وَالْكُتُبُ جمع كتاب « وهو من الكُتِبَ بمعنى الجمع والضم »
والمراد بها الكتب المنزلة من السماء على الرسل عليهم الصلاة
والسلام . والمعلوم لنا منها صحف ابراهيم والتوراة التى انزلت على
موسى فى الألواح والانجيل الذى أنزل على عيسى ، والزبور الذى
انزل على داود ، والقرآن الكريم الذى هو آخرها نزولا ، وهو
المصدق لها والمهيمن عليها ، وما عداها يجب الايمان به اجمالا .

والرسل جمع رسول « وقد تقدم أنه من أوحى الله اليه بشريع
وأمره بتبليغه » وعلينا أن نؤمن تفصيلا بمن سمي الله فى كتابه منهم
وهم خمسة وعشرون ، ذكرهم الشاعر فى قوله :

فِي تِلْكَ حُجَّتَنَا مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ مِنْ بَعْدِ عَشْرِ وَيَبْقَى سَبْعَةٌ وَهُمْ
إِدْرِيسُ هُوْدُ شُعَيْبٌ صَالِحٌ وَكَذَا ذُو الْكِفْلِ آدَمُ بِالْمَخْتَارِ قَدْ خُتِمُوا

وأما من عدا هؤلاء من الرسل والأنبياء فنؤمن بهم أجمالاً على
معنى الاعتقاد بنبوتهم ورسالتهم دون أن نكلف أنفسنا البحث عن
عدتهم وأسمائهم ، فإن ذلك مما اختص الله بعلمه ، قال تعالى
(ورسلاً قد قصصنا عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك) .

ويجب الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم
الله عز وجل ، وبينوه بياناً لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله ،
وانهم معصومون من الكذب والخيانة ، والكتمان والبلادة ، وإن
أفصلهم أولو العزم ، والمشهور أنهم محمد وإبراهيم وموسى وعيسى
ونوح ، لانهم ذكروا معاً في قوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) وقوله
(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما
وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)

والبعث في الأصل الاثارة والتحريك ، والمراد به في لسان الشرع
إخراج الموتى من قبورهم أحياء يوم القيامة لفصل القضاء بينهم ، فمن
يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . ويجب
الإيمان بالبعث على الصفة التي بينها الله في كتابه ، وهو أنه جمع
ما تحلل من أجزاء الأجساد التي كانت في الدنيا وأنشأها خلقاً
جديداً وإعادة الحياة اليها ، ومنكر البعث الجثمانى كالفلاسفة
والنصارى كفار ، وأما من أقر به ولكنه زعم أن الله يبعث الأرواح
في أجسام غير الأجسام التي كانت في الدنيا فهو مبتدع وفاسق .

وأما القدر فهو في الأصل مصدر ، تقول قدرت الشيء بفتح
الดาล وتخفيفها ، أقدره بكسرهما قدراً وقدراً إذا أحطت بمقداره

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ، الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ :
فِي كِتَابِهِ ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَمِنْ
غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ .

والمراد به في لسان الشرع أن الله عز وجل علم مقادير الأشياء
وأزمانها أزلا ، ثم أوجدها بقدرته ومشيئته على وفق ما علمه منها ،
وأنه كتبها في اللوح قبل أحداثها ، كما في الحديث « أول ما خلق
الله القلم ، فقال له اكتب ، قال وما أكتب ؟ قال اكتب كل ما هو
كائن » وقال تعالى (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم
الا في كتاب من قبل أن نبرأها) .

وقوله (ومن الإيمان بالله الخ) هذا شروع في التفصيل بعد
الاجمال ومن هنا للتبعض ، والمعنى : ومن جملة إيمان أهل السنة
والجماعة بالأصل الأول الذي هو أعظم الأصول وأساسها ، وهو
الإيمان بالله أنهم يؤمنون بما وصف به نفسه الخ .

وقوله (من غير تحريف) متعلق بالإيمان قبله يعنى أنهم مؤمنون
بالصفات الالهية على هذا الوجه الخالي من كل هذه المعانى الباطلة
اثباتا بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل .

والتحريف في الأصل مأخوذ من قولهم : حرفت الشيء عن
وجهه حرفا ، من باب ضرب اذا أملتة وغيرته والتشديد للمبالغة .
وتحريف الكلام أمالته عن المعنى المتبادر منه الى معنى آخر
لا يدل عليه اللفظ الا باحتمال مرجوح ، فلا بد فيه من قرينة تبين
أنه المراد .

وأما التعطيل فهو مأخوذ من العطل الذي هو الخلو والفراغ
والترك ، ومنه قوله تعالى (ويثر معطلة) أى أهملها أهلها وتركوا
وردها ، والمراد به هنا نفي الصفات الالهية ، وإنكار قيامها بذاته

بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) .

تعالى . فالفرق بين التحريف والتعطيل أن التعطيل نفى للمعنى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة ، وأما التحريف فهو تفسير النصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدل عليها .

والنسبة بينهما العموم والخصوص المطلق ، فان التعطيل أعم مطلقا من التحريف بمعنى أنه كلما وجد التحريف وجد التعطيل دون العكس ، وبذلك يوجدان معا فيمن أثبت المعنى الباطل ونفى المعنى الحق ، ويوجد التعطيل بدون التحريف فيمن نفى الصفات الواردة في الكتاب والسنة وزعم أن ظاهرها غير مراد ولكنه لم يعين لها معنى آخر وهو ما يسمونه بالتفويض .

ومن الخطأ القول بأن هذا هو مذهب السلف كما نسب ذلك اليهم المتأخرون من الأشاعرة وغيرهم ، فان السلف لم يكونوا يفوضون في علم المعنى ولا كانوا يقرأون كلاما لا يفهمون معناه ، بل كانوا يفهمون معاني النصوص من الكتاب والسنة ، ويثبتونها لله عز وجل ، ثم يفوضون فيما وراء ذلك من كنه الصفات أو كنهياتها كما قال مالك حين سئل عن كيفية استوائه تعالى على العرش : « الاستواء معلوم والكيف مجهول » .

وأما قوله (ومن غير تكييف ولا تمثيل) فالفرق بينهما أن التكييف أن يعتقد أن صفاته تعالى على كيفية كذا ، أو يسأل عنها بكيف .

وأما التمثيل فهو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين ، وليس المراد من قوله من غير تكييف أنهم ينفسون الكيف مطلقا ، فان كل شيء لابد أن يكون على كيفية ما ، ولكن المراد أنهم ينفسون علمهم بالكيف إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه .

فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ
وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ ، وَلَا يُكَيِّفُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ
بِصِفَاتِ خَلْقِهِ

قوله (ليس كمثله) هذه الآية المحكمة من كتاب الله عز وجل
هى دستور أهل السنة والجماعة فى باب الصفات فان الله عز وجل قد
جمع فيها بين النفى والاثبات ، فنفى عن نفسه المثل وأثبت لنفسه
سمعا وبصرا . فدل هذا على أن المذهب الحق ليس هو نفى الصفات
مطلقا كما هو شأن المعطلة ولا اثباتها مطلقا ، كما هو شأن الممثلة ،
بل اثباتها بلا تمثيل . وقد اختلف فى اعراب (ليس كمثله شئ) على
وجوه أصحها أن الكاف صلة زيدت للتأكيد كما فى قول الشاعر :

ليس كمثـل الفتى زهير خلق يوازيه فى الفضائل
وقوله (فلا ينفون عنه الخ) تفريع على ما قبله ، فانهم اذا كانوا
يؤمنون بالله على هذا الوجه فلا ينفون ولا يحرفون ، ولا يكيفون
ولا يمثـلون .

والمواضع جمع موضع والمراد بها المعانى التى يجب تنزيل الكلام
عليها لانها هى المتبادرة منه عند الاطلاق فهم لا يعدلون به عنها .
وأما قوله (ولا يلحدون فى أسماء الله وآياته) فقد قال العلامة
ابن القيم رحمه الله : والالحاد فى أسمائه هو العدول بها وبحقائقها
ومعانيها عن الحق الثابت لها ، مأخوذ من الميل كما يدل عليه
مادة (ل ح د) فمنه اللحد وهو الشق فى جانب القبر الذى قد مال
عن الوسط ، ومنه الملحد فى الدين (المائل عن الحق المدخل فيه
ما ليس منه) اهـ .

فالالحاد فيها إما أن يكون بجحدها وانكارها بالكلية ، وإما
بجحد معانيها وتعطيلها ، وإما بتحريفها عن الصواب واخراجها

لَآئِهٖ سُبْحَانَهُ لَا سَمِيَّ لَهُ وَلَا كُفَاءَ لَهُ وَلَا نِدُّ لَهُ .

عن الحق بالتأويلات الفاسدة ، وأما يجعلها أسماء لبعض المبتدعات كالحاد أهل الاتحاد .

وخلاصة ما نقدم ان السلف رضى الله عنهم يؤمنون بكل ما اخبر الله به عن نفسه في كتابه وبكل ما اخبر به عنه رسوله صلى الله عليه وسلم ايمانا سالما من التحريف والتعطيل ، ومن التكييف والتمثيل ويجعلون الكلام في ذات الباري وصفاته بابا واحدا ، فان الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات يحتذى فيه حذوه ، فاذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا اثبات تكييف فذلك اثبات الصفات ، وقد يعبرون عن ذلك بقولهم (تمر كما جاءت بلا تأويل) ومن لم يفهم كلامهم ظن ان غرضهم بهذه العبارة هو قراءة اللفظ دون التعرض للمعنى وهو باطل ، فان المراد بالتأويل المنفى هنا هو حقيقة المعنى وكنهه وكيفيته .

قال الامام احمد رحمه الله : « لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه او وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث » .

وقال نعيم بن حماد شيخ البخارى : « من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر ، وليس فيها وصف الله به نفسه او وصفه به رسوله تشبيه ولا تمثيل » .

قوله (لانه سبحانه لا سمى له الخ) تحليل لقوله فيما تقدم اخبارا عن أهل السنة والجماعة لا يكتفون ولا يمثلون .

ومعنى (لا سمى له) أى لا نظير له يستحق مثل اسمه ، او لا مسامى له يساميه ، وقد دل على نفيه قوله تعالى في سورة مريم (هل تعلم له سميا) فان الاستفهام هنا انكارى معناه النفى .

وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وليس المراد من نفى السمى أن غيره لا يسمى بمثل أسمائه ،
فانه هناك أسماء مشتركة بينه وبين خلقه ، ولكن المقصود أن هذه
الاسماء اذا سمى الله بها كان معناها مختصا به لا يشركه فيه غيره ،
فان الاشتراك انما هو فى مفهوم الاسم الكلى ، وهذا لا وجود له الا
فى الذهن ، واما فى الخارج فلا يكون المعنى الا جزئيا مختصا ، وذلك
بحسب ما يضاف اليه ، فان اضيف الى الرب كان مختصا به لا
يشركه فيه العبد ، وان اضيف الى العبد كان مختصا به لا يشركه
فيه الرب .

واما الكفاء فهو المكافئ المساوى ، وقد دل على نفيه قوله
تعالى (ولم يكن له كفوا أحد) .

واما الند فمعناه المساوى المناوىء قال تعالى (فلا تجعلوا لله
اندادا وانتم تعلمون) .

واما قوله (ولا يقاس بخلقه) فالمقصود به انه لا يجوز
استعمال شىء من الاقيسة التى تقتضى المماثلة والمساواة بين المقيس
والمقيس عليه فى الشئون الالهية .

وذلك مثل قياس التمثيل الذى يعرفه علماء الاصول بانه
الحاق فرع باصل فى حكم الجامع ، كالحاق النبيذ بالخمير فى الحرمة
لاشتراكهما فى علة الحكم وهى الاسكار .

فقياس التمثيل مبنى على وجود مماثلة بين الفرع والاصل ،
والله عز وجل لا يجوز أن يمثل بشىء من خلقه .

ومثل قياس الشمول المعروف عند المناطقة بانه الاستدلال
بكل على جزئى بواسطة اندراج ذلك الجزئى مع غيره تحت هذا
الكلى . فهذا القياس مبنى على استواء الافراد المندرجة تحت هذا

فَإِنَّهُ أَعْلَمَ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ وَأَصْدَقُ قِيلًا وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ ، ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدِّقُونَ بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ)

الكلى ، ولذلك يحكم على كل منها بما حكم به عليه .

ومعلوم انه لا مساواة بين الله عز وجل وبين شئء من خلقه وانما يستعمل في حقه تعالى قياس الأولي ومضمونه ان كل كمال ثبت للمخلوق وامكن ان يتصف به الخالق ، فالخالق أولى به من المخلوق ، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أحق بالتنزه عنه .

وكذلك قاعدة الكمال التي تقول : انه اذا قدر اثنان أحدهما موصوف بصفة كمال والآخر يمتنع عليه ان يتصف بتلك الصفة كان الاول أكمل من الثانى ، فيجب اثبات مثل تلك الصفة لله ما دام وجودها كمالا وعدمها نقصا .

قوله (فانه أعلم بنفسه وبغيره — الى قوله — ثم رسله صادقون مصدقون) تعليل لصحة مذهب السلف في الايمان بجميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة . فانه اذا كان الله عز وجل أعلم بنفسه وبغيره ، وكان أصدق قولاً وأحسن حديثاً ، وكان رسله عليهم الصلاة والسلام صادقين في كل ما يخبرون به عنه ، معصومين من الكذب عليه والاخبار عنه بما يخالف الواقع . وجب التعويل اذا في باب الصفات نفياً واثباتاً على ما قاله الله وقاله رسوله الذى هو أعلم خلقه به ، وأن لا يترك ذلك الى قول من يفترون على الله الكذب ويقولون عليه ما لا يعلمون .

وبيان ذلك أن الكلام انما تقصر دلالاته على المعانى المرادة منه لاحد ثلاثة أسباب ، اما لجهل المتكلم وعدم علمه بما يتكلم به ، واما لعدم فصاحته وقدرته على البيان ، واما لكذبه وغشه وتدليسـه ونصوص الكتاب والسنة بريئة من هذه الامور الثلاثة من كل وجه

وَلِهَذَا قَالَ (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ

فكلام الله وكلام رسوله في غاية الوضوح والبيان ، كما أنه المثل الأعلى في الصدق والمطابقة للواقع لصدوره عن كمال العلم بالنسب الخارجية وهو كذلك صادر عن تمام النصح والشفقة ، والحرص على هداية الخلق وارشادهم .

فقد اجتمعت له الامور الثلاثة التي هي عناصر الدلالة والانفهام على اكمل وجه . فالرسول صلى الله عليه وسلم اعلم الخلق بما يريد اخبارهم به ، وهو اقدرهم على بيان ذلك ، والافصح عنه . وهو احرصهم على هداية الخلق واشدهم ارادة لذلك ، فلا يمكن ان يقع في كلامه شيء من النقص والقصور بخلاف كلام غيره فانه لا يخلو من نقص في أحد هذه الامور او جميعها ، فلا يصح ان يعدل بكلامه كلام غيره فضلا عن ان يعدل عنه الى كلام غيره ، فان هذا هو غاية الضلال ومنتهى الخذلان .

قوله (ولهذا قال الخ) تحليل لما تقدم من كون كلام الله وكلام رسوله اكمل صدقا واتم بيانا ونصحا ، وابعد عن العيوب والآفات من كلام كل أحد .

(وسبحان) اسم مصدر من التسبيح ، الذي هو التنزيه والابعاد عن السوء ، واصله من السبح الذي هو السرعة والانطلاق والابعاد ، ومنه فرس سبوح اذا كانت شديدة العدو .

واضافة الرب الى العزة من اضافة الموصوف الى صفته ، وهو بدل من الرب قبله ، فهو سبحانه ينزه نفسه عما ينسب اليه المشركون من اتخاذ صاحبة والولد وعن كل نقص وعيب .

ثم يسلم على رسله عليهم الصلاة والسلام بعد ذلك للاشارة الى انه كما يجب تنزيه الله عز وجل وابعاده عن كل شائبة نقص

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (فَسَبِّحْ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ ،
وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النُّقْصِ وَالْعَيْبِ . وَهُوَ قَدْ
جَمَعَ فِيْمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ .

وعيب ، فيجب اعتقاد سلامة الرسل في أقوالهم وأفعالهم من كل
عيب كذلك فلا يكذبون على الله ولا يشركون به ولا يفثون أمهم
ولا يقولون على الله الا الحق .

قوله (والحمد لله رب العالمين) ثناء منه سبحانه على نفسه بما له
من نعوت الكمال وأوصاف الجلال وحميد الفعال ، وقد تقدم
الكلام على معنى الحمد فأغنى عن اعادته .

لما بين فيما سبق أن أهل السنة والجماعة يصفون الله عز وجل
بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ، ولم يكن ذلك كله اثباتا
ولا كله نفيا نبه على ذلك بقوله (وهو سبحانه قد جمع السخ) .

واعلم أن كلا من النفي والاثبات في الاسماء والصفات مجمل
ومفصل . أما الاجمال في النفي : فهو أن ينفي عن الله عز وجل كل
ما يضاد كماله من انواع العيوب والنقائص مثل قوله تعالى (ليس
كمثله شيء) (هل تعلم له سميا) (سبحانه الله عما يصفون) .

وأما التفصيل في النفي فهو أن ينزه الله عن كل واحد من هذه
العيوب والنقائص بخصوصه ، فينزه عن الوالد والولد والشريك
والصاحبة والند والخذ والجهل والعجز والضللال والنسيان والسنة
والنوم والعبث والباطل السخ .

ولكن ليس في الكتاب ولا في السنة نفي محض ، فان النفي
الصرف لا مدح فيه ، وإنما يراد بكل نفي فيها اثبات ما يضاده من
الكمال ، فنفي الشريك والند لاثبات كمال عظمته وتفرد بصفات
الكمال ، ونفي العجز لاثبات كمال قدرته ، ونفي الجهل لاثبات سمعة

فَلَا عُدُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ فَإِنَّهُ الصُّرَاطُ
الْمُسْتَقِيمُ صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

علمه واحاطته ، ونفى الظلم لاثبات كمال عدله ، ونفى العبث لاثبات
كمال حكمته ، ونفى التَّسَنُّة والنوم والموت لاثبات كمال حياته وقيوميته
وهكذا ، ولهذا كان النفي في الكتاب والسنة انما يأتي مجملا في أكثر
أحواله بخلاف الاثبات ، فان التفصيل فيه أكثر من الاجمال لانه
مقصود لذاته .

وأما الاجمال في الاثبات ، فمثل اثبات الكمال المطلق ، والحمد
المطلق والمجد المطلق ونحو ذلك ، كما يشير اليه مثل قوله تعالى
(الحمد لله رب العالمين) (والله المثل الاعلى) .

وأما التفصيل في الاثبات فهو متناول لكل اسم او صفة وردت
في الكتاب والسنة ، وهو من الكثير بحيث لا يمكن لاحد أن يحصيه
فان منها ما اختص الله عز وجل بعلمه كما قال عليه الصلاة والسلام
« سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك » وفي
حديث دعاء الكرب « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك
او أنزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في
علم الغيب عنسك » .

قوله (فلا عدول الخ) هذا مترتب على ما تقدم من بيان أن
ما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام هو الحق الذي يجب اتباعه
ولا يصح العدول عنه ، وقد علل ذلك بانه الصراط المستقيم ،
يعنى الطريق السوى القاصد الذى لا عوج فيه ولا انحراف .

والصراط المستقيم لا يكون الا واحدا من زاغ عنه أو انحرف
وقع في طريق من طرق الضلال والجور كما قال تعالى (وأن هذا

وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ
الَّتِي تَعْدِلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ .

صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله (
والصراط المستقيم هو طريق الامة الوسط الواقع بين طرفى الافراط
والتفريط ولهذا امرنا الله عز وجل وعلمنا أن نسأله أن يهدينا هذا
الصراط المستقيم فى كل ركعة من الصلاة ، أى يلهمنا ويوفقنا لسلوكه
واتباعه فانه صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) .

قوله (وقد دخل الخ) شروع فى ايراد النصوص من الكتاب
والسنة المتضمنة لما يجب الايمان به من الاسماء والصفات فى النفى
والاثبات .

وابتدا بتلك السورة العظيمة لانها اشتملت من ذلك على ما لم
يشتمل عليه غيرها . ولهذا سميت سورة الاخلاص لتجريدتها التوحيد
من شوائب الشرك والوثنية .

روى الامام أحمد فى مسنده عن أبى بن كعب رضى الله عنه فى
سبب نزولها أن المشركين قالوا يا محمد أنسب لنا ربك ، فأنزل الله
تبارك وتعالى (قل هو الله أحد الله الصمد الخ السورة) .

وقد ثبت فى الصحيح أنها تعدل ثلث القرآن . وقد اختلف
العلماء فى تاويل ذلك على أقوال اقربها (١) : ما نقله شيخ الاسلام
عن أبى العباس ، وحاصله أن القرآن الكريم اشتمل على ثلاثة
مقاصد أساسية . أولها: الاوامر والنواهي المتضمنة للاحكام والشرائع

(١) انظر ٣٥ ، ٦٢ من كتاب جواب أهل العلم والايمان لشيخ
الاسلام ابن تيمية ، طبع المطبعة السلفية .

حَيْثُ يَقُولُ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) .

العملية التي هي موضوع علم الفقه والاخلاق .

ثانيها : القصص والاعمال المتضمنة لاحوال الرسل عليهم الصلاة والسلام مع امهم ، وانواع الهلاك التي حاقت بالمكذبين ، لهم واحوال الوعد والوعيد وتفاصيل الثواب والعقاب .

ثالثها : علم التوحيد وما يجب على العباد من معرفة الله بأسمائه وصفاته وهذا هو اشرف الثلاثة .

ولما كانت سورة الاخلاص قد تضمنت اصول هذا العلم ، واشتملت عليه اجمالا صح ان يقال انها تعدل ثلث القرآن .

وأما كيف اشتملت هذه السورة على علوم التوحيد كلها وتضمنت الاصول التي هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي فنقول : ان قوله تعالى (الله أحد) دلت على نفى الشريك من كل وجه في الذات او في الصفات او في الافعال ، كما دلت على تفرد سبحانه بالعظمة والكمال والمجد والجلال والكبرياء ، ولهذا لا يطلق لفظ أحد في الاثبات الا على الله عز وجل ، وهو ابلغ من واحد .

وقوله (الله الصمد) قد فسرها ابن عباس رضي الله عنه بقوله « السيد الذي كمل في مؤدده ، والشريف الذي كمل في شرفه والعظيم الذي كمل في عظمته ، والحليم الذي كمل في حلمه ، والغنى الذي كمل في غناه ، والجبار الذي كمل في جبروته ، والعليم الذي كمل في علمه ، والحكيم الذي كمل في حكمه ، وهو الذي كمل في انواع الشرف والسؤدد ، وهو الله عز وجل هذه صفته لا تنبغي الا له ليس له كفؤ وليس كمثله شيء .

وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَكْثَرِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ حَيْثُ يَقُولُ :

وقد فسر الصمد أيضا بأنه الذى لا جوف له وبأنه الذى تصمد اليه الخليقة كلها وتقصده فى جميع حاجاتها ومهماتهما .

فأثبتت الاحدية لله تتضمن نفى المشاركة والمماثلة ، وأثبتت الصمدية بكل معانيها المتقدمة تتضمن إثبات جميع تفاصيل الاسماء الحسنى والصفات العلى ، وهذا هو توحيد الإثبات .

وأما النوع الثانى وهو توحيد التنزيه فيؤخذ من قوله تعالى :
(لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) كما يؤخذ أجمالاً من قوله
(الله أحد) .

أى لم يتفرع عنه شيء ولم يتفرع هو عن شيء ، وليس له مكافئ ولا مماثل ولا نظير .

فإنظر كيف تضمنت هذه السورة توحيد الاعتقاد والمعرفة وما يجب إثباته للرب تعالى من الاحدية المنافية لمطلق المشاركة والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذى لا يلحقه نقص بوجه من الوجوه ، ونفى الولد والوالد الذى هو من لوازم غناه وصمديته وأحديته ، ثم نفى الكفاء المتضمن لنفى التشبيه والتمثيل والنظير فحق لسورة تضمنت هذه المعارف كلها أن تعدل ثلث القرآن .

روى مسلم فى صحيحه عن أبى بن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل : أى آية فى كتاب الله أعظم ؟ قال الله ورسوله أعلم ، فرددها مراراً ، ثم قال أبى : آية الكرسي فوضع النبى يده على كتفه وقال : ليهنك هذا العلم أبا المنذر — وفى رواية عند أحمد : « والذى نفسى بيده أن لها لساناً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش » .

ولا غرو فقد اشتملت هذه الآية العظيمة من أسماء الرب

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ)

وصفاته على ما لم تشتمل عليه آية أخرى .

فقد أخبر الله فيها عن نفسه بأنه المتوحد في إِلَهِيَّتِهِ الَّذِي لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا وَسَائِرِ صُورِهَا إِلَّا لَهُ .

ثم أردف قضية التوحيد بما يشهد لها من ذكر خصائصه وصفاته الكاملة ، فذكر أنه الحي الذي له كمال الحياة لأن حياته من لوازم ذاته فهي أزلية أبدية ، وكمال حياته يستلزم ثبوت جميع صفات الكمال الذاتية له من العزة والقدرة والعلم والحكمة والسمع والبصر والارادة والمشيئة وغيرها ، إذ لا يتخلف شيء منها إلا لنقص في الحياة . فالكمال في الحياة يتبعه الكمال في سائر الصفات اللازمة للحي . ثم قرن ذلك باسمه القيوم ومعناه الذي قام بنفسه واستغنى عن جميع خلقه غنى مطلقا لا تشوبه شائبة حاجة أصلا لأنه غنى ذاتي ، وبه قامت الموجودات كلها ، فهي فقيرة إليه فقرا ذاتيا بحيث لا تستغنى عنه لحظة ، فهو الذي ابتداء إيجادها على هذا النحو من الأحكام والاتقان وهو الذي يدبر أمورها ويمدها بكل ما تحتاج إليه في بقائها . وفي بلوغ الكمال الذي قدره لها ، فهذا الاسم متضمن لجميع صفات الكمال الفعلية ، كما أن اسمه الحي متضمن لجميع صفات الكمال الذاتية . ولهذا ورد أن الحي القيوم هما اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعى به أجاب .

ثم أعقب ذلك بما يدل على كمال حياته وقيوميته فقال (لَا تَأْخُذُهُ) أي لا تغلبه (سِنَّةٌ) أي نعاس ولا نوم ، فإن ذلك يناقض القيومية ، إذ النوم أخو الموت . ولهذا كان أهل الجنة لا ينامون ، ثم ذكر سر عموم ملكه لجميع العوالم العلوية والسفلية ، وأنها جميعا تحت قهره وسلطانه فقال (لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) .

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ. مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)

ثم اردف ذلك بما يدل على تمام ملكه ، وهو أن الشفاعة
كلها له فلا يشفع عنده أحد الا بإذنه .

وقد تضمن هذا النقي والاستثناء أمرين ، أحدهما : اثبات
الشفاعة الصحيحة ، وهي أنها تقع بإذنه سبحانه لمن يرضى قوله
وعمله . والثاني : ابطال الشفاعة الشركية التي كان يعتقدونها المشركون
لاصنامهم وهي أنها تشفع لهم بغير إذن الله ورضاه .

ثم ذكرسعة علمه واحاطته وأنه لا يخفى عليه شيء من الامور
المستقبله والماضية وأما الخلق فانهم لا يحيطون بشيء من علمه ، قيل
يعنى من معلومه ، وقيل من علم اسمائه وصفاته الا بما شاء الله
سبحانه . ان يعلمهم اياه على السنة رسله او بغير ذلك من طرق
البحث والنظر والاستتجاج والتجربة .

ثم ذكر ما يدل على عظيم ملكه وواسع سلطانه ، فاخبر ان
كرسيه قد وسع السموات والارض جميعا . والصحيح في الكرسي
انه غير العرش وأنه موضع القدمين ، وأنه في العرش كحلقة ملقاة
في فلاة .

وأما ما أورده ابن كثير عن ابن عباس من تفسير الكرسي بالعلم
فانه لا يصح ويفضى الى التكرار في الآية .

ثم أخبر سبحانه بعد ذلك عن عظيم قدرته وكمال قوته بقوله :
(ولا يؤوده حفظهما) أى السموات والارض وما فيهما . وفسر

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ —

الشيخ رحمه الله يؤوده (يثقله) ويكرثه وهو من آده الامر اذا ثقل عليه ، ثم وصف نفسه سبحانه في ختام تلك الآية الكريمة ، بهذين الوصفين الجليلين ، وهما (العلى والعظيم) .

فالعلى هو الذى له العلو المطلق من جميع الوجوه ، علو الذات : وكونه فوق جميع المخلوقات مستويا على عرشه .
وعلو القدر : اذ كان له كل صفة كمال ، وله من تلك الصفة اعلاها وغايتها .

وعلو القهر : اذ كان هو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير .
واما العظيم : فمعناه الموصوف بالعظمة الذى لا شىء اعظم منه ، ولا اجل ولا اكبر ، وله سبحانه التعظيم الكامل فى قلوب انبيائه وملائكته واصفيائه .

قوله (هو الاول) الجملة هنا جاءت معرفة الطرفين ، فهى تفيد اختصاصه سبحانه بهذه الاسماء الاربعة ومعانيها على ما يليق بجلاله وعظمته ، فلا يثبت لغيره من ذلك شىء .

وقد اضطربت عبارات المتكلمين فى تفسير هذه الاسماء ، ولا داعى لهذه التفسيرات بعد ما ورد تفسيرها عن المصوم صلوات الله وسلامه عليه ، فقد روى مسلم فى صحيحه عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا اوى الى فراشه ، « اللهم رب السموات السبع ورب الارض رب كل شىء ، فالحق الحب والنوى ، منزل التوراة والانجيل والقرآن ، اعوذ بك من شر كل ذى شر انت آخذ بناصيته ، انت الاول فليس قبلك شىء ، وانت الآخر فليس بعدك شىء ، وانت الظاهر فليس فوقك شىء ، وانت الباطن فليس دونك شىء ، اقض عني الدين واغنني من الفقر » .

وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) . وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ)

فهذا تفسير واضح جامع يدل على كمال عظمته سبحانه وأنه محيط بالاشياء من كل وجه (فالاول والآخر) بيان لاحاطته الزمانية ، (والظاهر والباطن) بيان لاحاطته المكانية ، كما أن اسمه الظاهر يدل على أنه العالی فوق جميع خلقه ، فلا شيء منها فوقه .

فمدار هذه الاسماء الاربعة على الاحاطة ، فأحاطت اوليته وآخريته بالاولائل والاواخر ، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن فاسمه الاول دال على قدمه وأزليته ، واسمه الآخر دال على بقاءه وأبديته ، واسمه الظاهر دال على علوه وعظمته ، واسمه الباطن دال على قربهِ ومعيته ، ثم ختمت الآية بما يفيد احاطة علمه بكل شيء من الامور الماضية والحاضرة والمستقبلية ، ومن العالم العلوى والسفلى ، ومن الواجبات والجائزات والمستحيلات فلا يغيب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء . فالآية كلها شأن احاطة الرب سبحانه بجميع خلقه من كل وجه ، وأن العوالم كلها في قبضة يده كخردلة في يد العبد لا يفوته منها شيء ، وانما أتى بين هذه الصفات بالواو مع أنها جارية على موصوف واحد لزيادة التقرير والتأكيد ، لان الواو تقتضى تحقيق الوصف المتقدم وتقريره وحسن ذلك لمجيئها بين أوصاف متقابلة قد يسبق الى الوهم استبعاد الاتصال بها جميعا ، فان الاولية تنافى الآخرية في الظاهر . وكذلك الظاهرية والباطنية فاندفع توهم الانكار التأكيد .

قوله (وتوكل الخ) هذه الجملة من الايات ساقها المؤلف لاثبات بعض الاسماء والصفات . فالآية الاولى فيها اثبات اسمه الحي ، كما تضمنت سلب الموت الذى هو ضد الحياة عنه ، وقد قدمنا أنه سبحانه حي بحياة هي صفة له لازمة لذاته فلا يعرض لها موت ولا زوال أصلا ، وأن

وَقَوْلُهُ (وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ — وَهُوَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ — يَعْلَمُ مَا يَلْسَحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَهْرُجُ فِيهَا —

حياته اكمل حياة وأتمها فيستلزم ثبوتها له ثبوت كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة . وأما الآيات الباقية ففيها اثبات صفة العلم وما اشتق منها ككونه عليما ويعلم واحاط بكل شيء علما الخ .

والعلم صفة لله عز وجل بها يدرك جميع المعلومات على ما هي به فلا يخفى عليه منها شيء كما قدمنا .

وفيهما اثبات اسمه الحكيم ، وهو مأخوذ من الحكمة ، ومعناه الذي لا يقول ولا يفعل الا الصواب ، فلا يقع منه عبث ولا باطل ، بل كل ما يخلقه او يأمر به فهو تابع لحكمته .

وقيل هو من فعيل بمعنى مفعول ، ومعناه المحكم للأشياء من الأحكام وهو الاتقان فلا يقع في خلقه تفاوت ولا فطور ، ولا يقع في تدبيره خلل او اضطراب .

وفيهما كذلك اثبات اسمه الخبير ، وهو من الخبرة بمعنى كمال العلم ووثوقه والاحاطة بالأشياء على وجه التفصيل ووصول علمه الى كل ما خفى ودق من الحسيات والمعنويات .

وقد ذكر سبحانه في هذه الآيات بعض ما يتعلق به علمه للدلالة على شموله واحاطته بما لا تبلغه علوم خلقه ، فذكر أنه يعلم ما يلج أي يدخل في الأرض من حب وبذور ومياه وحشرات ومعادن ، وما يخرج منها من زرع وأشجار وعيون جارية ومعادن نافعة كذلك وما ينزل من السماء ، من ثلوج وأمطار وصواعق وملائكة ، وما يهرج ، أي يصعد فيها كذلك من ملائكة وأعمال وطيور صواف الى غير ذلك مما يعلمه جل شأنه ، وذكر فيها أيضا أن عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ، ومفاتيح الغيب قيل خزائنه ، وقيل طرقه

وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ
مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ

وأسبابه التي يتوصل بها اليه ، جمع مُفْتَح بكسر الميم أو مِفْتَاَح
بحذف ياء مفاعيل .

وقد فسرهما النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « مفاتيح الغيب
خمسة لا يعلمهن الا الله ، ثم تلا قوله تعالى (ان الله عنده علم الساعة
وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ،
وما تدرى نفس بأى ارض تموت ان الله عليم خبير) .

وقد دلت الآيتان الاخيرتان على انه سبحانه عالم بعلم هو صفة
له قائم بذاته خلافا للمعتزلة الذين نفوا صفاته ، فمنهم من قال انه
عالم بذاته وقادر بذاته الخ ، ومنهم من فسر أسماءه بمعان سلبية
مقال : عليم معناه لا يجهل ، وقادر معناه لا يعجز الخ .

وهذه الآيات حجة عليهم فقد أخبر فيها سبحانه عن احاطة
علمه بحمل كل انشئ ووضعها من حيث المتى والكيف ، كما أخبر
عن عموم قدرته وتعلقها بكل ممكن وعن احاطة علمه بجميع الاشياء
وما أحسن ما قاله الامام عبد العزيز المكي في كتابه الحيدة لبشر
المريسي المعتزلي وهو يناظره في مسألة العلم « ان الله عز وجل لم
يمدح كتابه ملكا مقربا ولا نبيا مرسل ولا مؤمنا تقيا بنفى الجهل
عنه ليدل على اثبات العلم له ، وانما مدحهم باثبات العلم لهم فنفى
بذلك الجهل عنهم ، فمن اثبت العلم نفى الجهل ، ومن نفى الجهل لم
يثبت العلم » .

والدليل العقلي على علمه تعالى انه يستحيل ايجاده الاشياء مع
الجهل لان ايجاده الاشياء بارادته ، والارادة تستلزم العلم المراد
ولهذا قال سبحانه (الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) .

إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) وَقَوْلُهُ (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ) وَقَوْلُهُ (لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَسْدٌ أَخَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) .

ولان المخلوقات فيها من الاحكام والانتقان وعجيب الصنعة ودقيق الخلقة ما يشهد بعلم الفاعل لها لامتناع صدور ذلك عن غير علم .

ولان من المخلوقات من هو عالم والعلم صفة كمال ، فلو لم يكن الله عالما لكان في المخلوقات من هو اكمل منه .

وكل علم في المخلوق انما استفاده من خالقه ، وواهب الكمال احق به ، وفاقده الشيء لا يعطيه . وانكر الفلاسفة علمه تعالى بالجزئيات وقالوا انه يعلم الاشياء على وجه كلى ثابت ، وحقيقة قولهم انه لا يعلم شيئا ، فان كل ما في الخارج هو جزئى . كما انكر الفلاة من القدرية علمه تعالى بأفعال العباد حتى يعملوها ، توهمها منهم ان علمه بها يفضى الى الجبر ، وقولهم معلوم البطلان بالضرورة في جميع الاديان . قوله (ان الله الخ) تضمنت اثبات اسمه الرزاق وهو مبالغة من الرزق ومعناه الذى يرزق عباده رزقا بعد رزق في اكثر وسعة ، وكل ما وصل منه سبحانه من نفع الى عباده فهو رزق، مباحا كان او غير مباح على معنى انه قد جعله لهم قوتا ومعاشا ، قال تعالى (والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد) وقال (وفي السماء رزقكم وما توعدون) الا ان الشيء اذا كان مأذونا في تناوله فهو حلال حكما والا كان حراما ، وجميع ذلك رزق ، وتعريف الجملة الاسمية والاتيان فيها بضمير الفصل لامادة اختصاصه سبحانه بايصال الرزق الى عباده .

وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « اقرانى رسول

وَقَوْلُهُ (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرِّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ)
وَقَوْلُهُ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) وَقَوْلُهُ (إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا
يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) .

الله صلى الله عليه وسلم انى انا الرزاق ذو القوة المتين .

واما قوله (ذو القوة) اى صاحب القوة فهو بمعنى اسمه القوى
الا انه ابلغ فى المعنى ، فهو يدل على ان قوته سبحانه لا تتناقص
فيهن او يفتر .

واما (المتين) فهو اسم له من المتانة ، وقد فسرہ ابن عباس
« بالشديد » .

قوله (ليس كمثله شيء الخ) دل اثبات صفتى السمع والبصر له
سبحانه بعد نفي المثل عنه على انه ليس المراد من نفي المثل نفي
الصفات كما يدعى ذلك المعطلة ويحتجون به باطلا ، بل المراد اثبات
الصفات مع نفي مماثلتها لصفات المخلوقين

قال العلامة ابن القيم رحمه الله (قوله ليس كمثله شيء) انما
قصد به نفي ان يكون معه شريك او معبود يستحق العبادة والتعظيم
كما يفعله المشبهون والمشركون ، ولم يقصد به نفي صفات كماله
وعلوه على خلقه وتكليمه بكتبه وتكلمه لرسله ورؤية المؤمنين له
جهرة بأبصارهم كما ترى الشمس والقمر فى الصحو . ا هـ .

ومعنى السميع المدرك لجميع الاصوات مهما خفت ، فهو يسمع
السر والنجوى بسمع هو صفة لا يماثل اسماع خلقه .

ومعنى البصير المدرك لجميع المرئيات من الاشخاص والالوان
مهما لطفت او بعدت فلا تؤثر على رؤيته الحواجز والاستار وهو من
فعل بمعنى مفعول ، وهو دال على ثبوت صفة البصر له سبحانه
على الوجه الذى يليق به .

وَقَوْلُهُ (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)
وَقَوْلُهُ (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) .

روى أبو داود في سنته عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية (أن الله كان سميعا بصيرا) فوضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه .

ومعنى الحديث أنه سبحانه يسمع بسمع ويرى بعين فهو حجة على بعض الأشاعرة الذين يجعلون سمعه علمه بالمسموعات وبصره علمه بالمبصرات ، وهو تفسير خاطيء ، فإن الأعمى يعلم بوجود السماء ولا يراها ، والأصم يعلم بوجود الأصوات ولا يسمعها . قوله (ولولا إذ دخلت ، الخ) هذه الآيات دلت على إثبات صفتى الإرادة والمشيئة ، والنصوص في ذلك لا تحصى كثرة .

والأشاعرة يثبتون إرادة واحدة قديمة تعلقست في الأزل بكل المراتد فيلزمهم تخلف المراد عن الإرادة ، وأما المعتزلة فعلى مذهبهم في نفي الصفات لا يثبتون في صفة الإرادة ، ويقولون أنه يريد بإرادة حادثة لا في محل ، فللزمهم قيام الصفة بنفسها وهو من أبطل الباطل .

وأما أهل الحق فيقولون أن الإرادة على نوعين :

(١) إرادة كونية ترادفها المشيئة ، وهما تتعلقان بكل ما يشاء الله فعله وأحداثه ، فهو سبحانه إذا أراد شيئا وشاءه كان عقب إرادته له كما قال تعالى (وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)

وفي الحديث الصحيح (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) .
(٢) إرادة شرعية تتعلق بما يأمر الله به عباده مما يحبه ويرضاه

وَقَوْلُهُ (أَحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ) .

وَقَوْلُهُ (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ) .

وهي المذكورة في مثل قوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ولا تلازم بين الارادتين بل قد تتعلق كل منهما بما لا تتعلق به الاخرى فبينهما عموم وخصوص من وجه . فالارادة الكونية اعم من جهة تعلقها بما لا يحبه الله ويرضاه من الكفر والمعاصي ، وأخص من جهة انها لا تتعلق بمثل ايمان الكافر وطاعة الفاسق .

والارادة الشرعية اعم من جهة تعلقها بكل مأمور به واقعا كان او غير واقع ، وأخص من جهة أن الواقع بالارادة الكونية قد يكون غير مأمور به .

والحاصل أن الارادتين قد تجتمعان معا في مثل ايمان المؤمن وطاعة المطيع ، وتنفرد الكونية في مثل كفر الكافر ومعصية العاصي ، وتنفرد الشرعية في مثل ايمان الكافر وطاعة العاصي وقوله تعالى (ولولا اذ دخلت جنتك) الآية ، هذا من قول الله حكاية عن الرجل المؤمن لزميله الكافر صاحب الجنتين يعظه به أن يشكر نعمة الله عليه ويردها الى مشيئة الله ويبرا من حوله وقوته فانه لا قوة الا بالله .

وقوله (ولو شاء الله ما اقتتلوا) الآية ، اخبار عما وقع بين اتباع الرسل من بعدهم من التنازع والتعادي بغيا بينهم وحسدا ، وإن ذلك انما كان بمشيئة الله عز وجل ، ولو شاء عدم حصوله ما حصل ولكنه شاءه فوقع .

وقوله (فمن يريد الله أن يهديه الخ) الآية تدل على أن كلا من

وَقَوْلُهُ (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ — وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ —)

الهداية والضلال بخلق الله عز وجل ، فمن يرد هدايته ، أى الهامه
وتوفيقه يشرح صدره للإسلام بأن يقذف فى قلبه نورا فيتسع له
وينبسط كما ورد فى الحديث — ومن يرد اضلاله وخذلانه يجعل
صدره فى غاية الضيق والحرص ، فلا ينفذ اليه نور الايمان . وشبهه
ذلك بمن يَصْعَدُ فى السماء .

تضمنت هذه الآيات اثبات أفعال له تعالى ناشئة عن صفة المحبة
ومحبة الله عز وجل لبعض الأشخاص والأعمال والأخلاق صفة له
قائمة به ، وهى من صفات الفعل الاختيارية التى تتعلق بمشيئته
فهو يحب بعض الأشياء دون بعض على ما تقتضيه الحكمة
البالغة وينفى الإشاعة والمعتزلة صفة المحبة بدعوى أنها توهم
نقصا ، اذ المحبة فى المخلوق معناها ميله الى ما يناسبه أو يستلذه ،
فأما الإشاعة فيرجعونها الى صفة الإرادة ، فيقولون ان محبة الله
لعبده لا معنى لها الا ارادته لآكرامه ومثوبته .

وكذلك يقولون فى صفات الرضى والغضب والكراهية والسخط
كلها عندهم بمعنى ارادة الثواب والعقاب .

وأما المعتزلة فلانهم لا يثبتون ارادة قائمة به ، فيفسرون المحبة
بانها نفس الثواب الواجب عندهم على الله لهؤلاء بناء على مذهبهم
فى وجوب اثابة المطيع وعقاب العاصى .

وأما اهل الحق فيثبتون المحبة صفة حقيقية لله عز وجل على
ما يليق به فلا تقتضى عندهم نقصا ولا تشبيها .

كما يثبتون لازم تلك المحبة وهى ارادته سبحانه اكرام من يحبه
واثابته ، وليت شعري بماذا يجيب النافون للمحبة عن مثل قوله

فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ — إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) . وَقَوْلُهُ (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
يُحِبِّكُمْ اللَّهُ) .

عليه السلام في حديث أبي هريرة « ان الله عز وجل اذا احب عبدا
قال لجبريل عليه السلام انى احب فلانا فأجبه ، قال فيقول جبريل
عليه السلام لاهل السماء : ان ربكم عز وجل يحب فلانا فأحبوه ،
قال فيحبه اهل السماء ويوضع له القبول في الارض ، واذا ابغضه
فمثل ذلك) رواه الشيخان .

وقوله تعالى في الآية الاولى (واحسنوا) أمر بالاحسان العام
في كل شيء لا سيما في أمور الفقه المأمور بها قبل ذلك ، والاحسان فيها
يكون بالبذل وعدم الامساك ، أو بالتوسط بين التقدير والتبذير ،
وهو القوام الذى أمر الله به في سورة الفرقان .

روى مسلم في صحيحه عن شداد بن اوس أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال : « ان الله كتب الاحسان على كل شيء ، فاذا
قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليدد أحدكم
شفرته وليرح ذبيحته » وأما قوله (ان الله يحب المحسنين) فهو تعليل
للامر بالاحسان فانهم اذا علموا ان الاحسان موجب لمحبتهم سارعوا
الى امتثال الامر به .

وأما قوله في الآية الثانية (واقسطوا) فهو أمر بالاقساط وهو
العدل في الحكم بين الطائفتين المتنازعتين من المؤمنين ، وهو من
قسط اذ جار ، فالهمزة فيه للسلب ، ومن أسمائه تعالى المقسط ،
وفي الآية الحث على العدل وفضله « وانه سبب لمحبة الله عز وجل
وأما قوله تعالى (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) فمعناه اذا
كان بينكم وبين احد عهد كهؤلاء الذين عاهدتموهم عند المسجد الحرام

وَقَوْلُهُ (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) . وَقَوْلُهُ (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرصُوصٌ) .
وَقَوْلُهُ (وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ) .

فاستقيموا لهم على عهدهم مدة استقامتهم لكم ، فما هنا مصدريه ظرفية ثم علل ذلك الامر بقوله (ان الله يحب المتقين) أى يحب الذين يتقون الله فى كل شىء ومنه عدم نقض العهد .

وأما قوله (ان الله يحب التوابين الخ) فهو اخبار من الله سبحانه عن محبته لهذين الصنفين من عباده .

أما الاول فهم التوابون ، أى الذين يكثرُونَ التوبة والرجوع الى الله عز وجل بالاستغفار مما ألموا به على ما تقتضيه صيغة المبالغة ، فهم بكثرة التوبة قد تطهروا من الاقذار والنجاسات المعنوية التى هى الذنوب والمعاصى .

وأما الثانى فهم المتطهرون الذين يبالفون فى التطهر ، وهو التنظيف بالوضوء أو بالغسل من الاحداث والنجاسات الحسية . وقيل المراد بالمتطهرين هنا الذين يتنزهون عن اتیان النساء فى زمن الحيض أو فى ادبارهن ، والحمل على العموم أولى .

وأما قوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله) فقد روى عن الحسن فى سبب نزولها ان قوما ادعوا أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية محنة لهم ، وفى هذه الآية قد شرط الله لمحبة اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم ، فلا ينال تلك المحبة الا من أحسن الاتباع ، والاستمساك بهديه عليه السلام .

قوله (وهو الغفور الخ) تضمنت الآية اثبات اسمين مسن الاسماء الحسنى وهما « الغفور والودود » أما الاول فهو مبالغة الغفر ومعناه الذى يكثر منه الستر على المذنبين من عباده والتجاوز

وَقَوْلُهُ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا

عن مؤاخذتهم .

وأصل الغفر السبتر ، ومنه يقال : الصبغ أغفر للوسخ . ومنه المغفر لسترة الرأس .

وأما الثانى فهو من الود الذى هو خالص الحب والطفه ، وهو أما من فعول بمعنى فاعل ، فيكون معناه الكثير الود لاهل طاعته والمتقرب اليهم بنصرته ومعاونته .

وأما من فعول بمعنى مفعول فيكون معناه المودود لكثرة احسانه المستحق لان يوده خلقه فيعبدوه ويحمدوه .

وأما قوله (بسم الله الرحمن الرحيم) وما بعدها من الآيات فقد تضمنت اثبات أسمائه الرحمن والرحيم واثبات صفتى الرحمة والعلم .

وقد تقدم فى تفسير بسم الله الرحمن الرحيم الكلام على هذين الاسمين وبيان الفرق بينهما ، وان أولهما دال على صفة الذات والثانى دال على صفة الفعل ، وقد انكر الاشاعرة والمعتزلة صفة الرحمة بدعوى انها فى المخلوق ضعف وخور وتألم للمرحوم ، وهذا من اقبح الجهل فان الرحمة انما تكون من الاقوياء للضعفاء ، فلا تستلزم ضعفا ولا خورا بل قد تكون مع غاية العزة والقدرة . فالانسان القوى يرحم ولده الصغير وابويه الكبارين ومن هو اضعف منه ، واين الضعف والخور وهما من اذم الصفات من الرحمة التى وصف الله نفسه بها واثنى على اوليائه المتصفين بها وأمرهم أن يتواصوا بها .

وقوله (ربنا وسعت الخ) من كلام الله عز وجل حكاية عن حملة العرش والذين حوله ، يتوسلون الى الله عز وجل بربوبيته وسعة

(وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا — وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ — كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ — وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ — قَالَ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) .

قَوْلُهُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ — وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا)

علمه ورحمته في دعائهم للمؤمنين ، وهو من أحسن التوسلات التي يرجى معها الإجابة .

وانصب قوله رحمة وعلما على التمييز المحول عن الفاعل ، والتقدير وسعت رحمتك وعلمك كل شيء ، فرحمته سبحانه وسعت في الدنيا المؤمن والكافر والبر والفاجر ، ولكنها يوم القيامة تكون خاصة بالمتقين كما قال تعالى (فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) الآية . وقوله تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) أى أوجبها على نفسه تفضلا واحسانا ولم يوجبها عليه أحد .

وفي حديث أبي هريرة في الصحيحين « أن الله لما خلق الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش أن رحمتي سبقت أو تسبق غضبي .

وأما قوله « فالله خير حافظا » فالحافظ والحفيظ مأخوذ من الحفظ وهو الصيانة . ومعناه الذى يحفظ عباده بالحفظ العام فييسر لهم أقواتهم ويقيهم أسباب الهلاك والعطب وكذلك يحفظ عليهم أعمالهم ويحصى أقوالهم ويحفظ أوليائه بالحفظ الخاص فيعصمهم عن موقعة الذنوب ويحرسهم من مكائد الشيطان وعن كل ما يضرهم في دينهم ودنياهم ، وانتصب (حافظاً) تمييزاً للخير الذى هو أفعل تفضيل .

قوله (رضى الله عنهم الخ) تضمنت هذه الآيات اثبات بعض صفات الفعل من الرضى لله الفضب ، واللعن والكره ، والسخط والمقت والاسف .

وهى عند أهل الحق صفات حقيقية لله عز وجل على ما يليق به

فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ (.) وَقَوْلُهُ (ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ) .

ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك ، ولا يلزم منها ما يلزم في
المخلوق ، فلا حجة للشاعرة والمعتزلة على نفيها ولكنهم ظنوا أن
اتصاف الله عز وجل بها يلزمه أن تكون هذه الصفات فيه على نحو
ما هي في المخلوق ، وهذا الظن الذي ظنوه في ربهم أرداهم فأوقعهم
في حماة النفي والتعطيل ، والاشاعرة يرجعون هذه الصفات كلها
الى الارادة كما علمت سابقا ، فالرضى عندهم ارادة الثواب والغضب
والسخط الخ ارادة العقاب .

وأما المعتزلة فيرجعونها الى نفس الثواب والعقاب
وقوله سبحانه (رضى الله عنهم ورضوا عنه) اخبار عما
يكون بينه وبين اوليائه من تبادل الرضى والمحبة ، أما رضاه عنهم فهو
اعظم وأجل من كل ما أعطوا من النعيم كما قال سبحانه (ورضوان
من الله أكبر) وأما رضاهم عنه فهو رضى كل منهم بمنزلته مهما كانت
وسروره بها حتى يظن أنه لم يؤت أحد خيرا مما أوتى ، وذلك في
الجنة .

وأما قوله (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) الآية ، فقد احترز
بقوله مؤمنا عن قتل الكافر ، وبقوله متعمدا ، أى قاصدا لذلك
(بأن يقصد من يعلمه آدميا معصوما فيقتله بما يغلب على الظن
موته به) عن القتل الخطأ .

وقوله (خالدا فيها) أى مقيما على جهة التابيد ، وقيل الخلود
المكث الطويل واللعن هو الطرد والابعاد عن رحمة الله ، واللعين
والملعون من حقت عليه اللعنة أو دعى عليه بها .

وقد استشكل العلماء هذه الآيات من حيث أنها تدل على أن

(فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ) وَقَوْلُهُ (وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ) وَقَوْلُهُ (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) .
 وَقَوْلُهُ (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ)

القاتل عمدا لا توبة له وانه مغلد في النار ، وهذا معارض لقوله تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقد اجابوا عن ذلك بعدة اجوبة منها :

- ١ - ان هذا الجزاء لمن كان مستحلا لقتل المؤمن عمدا .
- ٢ - ان هذا هو جزاؤه الذي يستحقه لو جوزى مع امكان ان لا يجازى بان يتوب او يعمل صالحا يرجح بعمله السيء .
- ٣ - ان الآية واردة مورد التغليظ والزجر .
- ٤ - ان المراد بالخلود المكث الطويل كما قدمنا .

وقد ذهب ابن عباس وجماعة الى ان القاتل عمدا لا توبة له حتى قال ابن عباس : ان هذه الآية من آخر ما نزل ولم ينسخها شيء ، والصحيح ان على القاتل حقوقا ثلاثة : حقا لله وحقا للورثة وحقا للقتيل ، فحق الله يسقط بالتوبة ، وحق الورثة يسقط بالاستيفاء في الدنيا او العفو ، واما حق القتل فلا يسقط حتى يجتمع بقاتله يوم القيامة ويأتى رأسه في يده ويقول يا رب سل هذا فيم قتلنى ؟

واما قوله (فلما آسفونا الخ) فالاسف يستعمل بمعنى شدة الحزن وبمعنى شدة الغضب والسخط وهو المراد في الآية والانتقام المجازاة بالعقوبة مأخوذا من النعمة وهى شدة الكراهة والسخط .

قوله (هل ينظرون الخ) في هذه الآيات اثبات صفتين من صفات الفعل له سبحانه وهما صفتا الاتيان والمجىء والذي عليه اهل السنة

وَقَوْلُهُ (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ - كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)

والجماعة الايمان بذلك على حقيقته والابتعاد عن التأويل الذي هو في الحقيقة الحاد وتعطيل .

ولعل من المناسب ان ننقل الى القارىء هنا ما كتبه حامل لواء التجهم والتعطيل في هذا العصر وهو المدعو بزاهد الكوثرى

قال في حاشيته على كتاب الاسماء والصفات للبيهقى ما نصه :
(قال الزمخشري ما معناه ان الله يأتى بعذاب فى الغمام الذى ينتظر منه الرحمة ، فيكون مجيء العذاب من حيث تنتظر الرحمة افظع وأهول) وقال امام الحرمين فى معنى الباء كما سبق ، وقال الفخر الرازى ان يأتىهم أمر الله . ا هـ .

فأنت ترى من نقل هذا الرجل عن أسلافه فى التعطيل مدى اضطرابهم فى التخريج والتأويل .

على ان الآيات صريحة فى بابها لا تقبل شيئا من تلك التأويلات فالآية الاولى تتوعد هؤلاء المصرين على كفرهم وعنادهم واتباعهم الشيطان بانهم ما ينتظرون الا ان يأتىهم الله عز وجل فى ظلل الغمام لفصل القضاء بينهم ، وذلك يوم القيامة ، ولهذا قال بعد ذلك (وقضى الامر) والآية الثانية اشد صراحة اذ لا يمكن تأويل الايتان فيها بأنه ايتان الامر او العذاب لانه ردد فيها بين ايتان الملائكة وايتان الرب وايتان بعض آيات الرب سبحانه .

وقوله فى الآية التى بعدها (وجاء ربك والملك صفا صفا) لا يمكن حملها على مجيء العذاب ، لان المراد مجيئه سبحانه يوم القيامة لفصل القضاء ، والملائكة صفوف اجلالا وتعظيما له ، وعند مجيئه تنشق السماء بالغمام كما أفادته الآية الاخيرة . وهو

سبحانه يجرى ويأتى وينزل ويدنو وهو فوق عرشه بائن من خلقه .
فهذه كلها أفعال له سبحانه على الحقيقة ، ودعوى المجاز تعطيل له
عن فعله واعتقاد أن ذلك المجيء والأتیان من جنس مجيء المخلوقين
واتيانهم نزوع الى التشبيه يفضى الى الإنكار والتعطيل .
قوله (ويبقى وجه ربك الخ) تضمنت هاتان الآيتان اثبات
صفة الوجه لله عز وجل .

والنصوص فى اثبات الوجه من الكتاب والسنة لا تحصى كثرة
وكلها تنفى تأويل المعطلة الذين يفسرون الوجه بالجهة أو الثواب أو
الذات ، والذى عليه أهل الحق أن الوجه صفة غير الذات ولا يقتضى
إثباته كونه تعالى مركبا من أعضاء كما يقوله المجسمة ، بل هو صفة
له على ما يليق به فلا يشبه وجهها ولا يشبهه وجه .

واستدل المعطلة بهاتين الآيتين على أن المراد بالوجه الذات
إذ لا خصوص للوجه فى البقاء وعدم الهلاك .

ونحن نعارض هذا الاستدلال بأنه لو لم يكن لله عز وجل وجه
على الحقيقة لما جاز استعمال هذا اللفظ فى معنى الذات فان اللفظ
الموضوع لمعنى لا يمكن أن يستعمل فى معنى آخر إلا إذا كان المعنى
الأصلى ثابتا للموصوف حتى يمكن للذهن أن ينتقل من الملزوم السى
لازمه ، على أنه يمكن دمع مجازهم بطريق آخر فيقال أنه أسند البقاء
الى الوجه ، ويلزم منه بقاء الذات بدلا من أن يقال أطلق الوجه
وأراد الذات . وقد ذكر البيهقى نقلا عن الخطابى أنه تعالى لها
أضاف الوجه الى الذات وأضاف النعت الى الوجه فقال (ويبقى وجه
ربك ذو الجلال والإكرام) دل على أن ذكر الوجه ليس بصلة
وأن قوله ذو الجلال والإكرام صفة للوجه والوجه صفة للذات .

وكيف يمكن تأويل الوجه بالذات أو بغيرها فى مثل قوله عليه

وَقَوْلُهُ (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي — وَقَالَتِ الْيَهُودُ
يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ . غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا)

السلام في حديث الطائفة « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له
الظلمات الخ » وقوله فيما رواه أبو موسى الأشعري « حجاب النور أو
النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .

قوله (ما منعك الخ) تضمنت هاتان الآيتان اثبات اليمين صفة
حقيقة له سبحانه على ما يليق به ، فهو في الآية الأولى يوبخ إبليس
على امتناعه عن السجود لآدم الذي خلقه بيديه ، ولا يمكن حمل
اليمين هنا على القدرة ، فان الأشياء جميعا حتى إبليس خلقها الله
بقدرته فلا يبقى لآدم خصوصية يتميز بها .

وفي حديث عبد الله بن عمرو « ان الله عز وجل خلق ثلاثة
أشياء بيده : خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن
بيده ، فتخصيص هذه الثلاثة بالذكر مع مشاركتها لبقية المخلوقات في
وقوعها بالقدرة دال على اختصاصها بأمر زائد .

وأىضا فلفظ اليمين بالتثنية لم يعرف استعماله الا في اليسد
الحقيقية ولم يرد قط بمعنى القدرة أو النعمة فانه لا يسوغ أن يقال
خلق الله بقدرتين أو بنعمتين ، على أنه لا يجوز إطلاق اليمين
بمعنى النعمة أو القدرة أو غيرها الا في حق من اتصف باليدين
على الحقيقة ، ولذلك لا يقال للريح يد ولا للماء يسد .

وأما احتجاج المعطلة بأن اليد قد أفردت في بعض الآيات وجاءت
بلفظ الجمع في بعضها فلا دليل فيه ، فان ما يصنع بالاثنتين قد ينسب
الى الواحد ، تقول رأيت بعيني وسمعت بأذني والمراد عيناى وأذناى
وكذلك الجمع يأتى بمعنى المثنى أحيانا كقوله تعالى (ان تتوبا الى
الله فقد صغت قلوبكما) والمراد قلوبكما .

بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ (وَقَوْلُهُ (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا - وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسُرٍ - تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ، وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) .

وكيف يتأتى حمل اليد على القدرة أو النعمة مع ما ورد من اثبات الكف والاصابع واليمين والشمال والقبض والبسط وغير ذلك مما لا يكون الا لليد الحقيقية .

وفي الآية الثانية يحكى الله سبحانه مقالة اليهود قبحهم الله في ربهم ووصفهم اياه حاشاه بأن يده مفلولة أى ممسكة عن الانفاق . ثم أثبت لنفسه سبحانه عكس ما قالوا ، وهو أن يديه مبسوطتان بالعطاء ينفق كيف يشاء ، كما جاء في الحديث ان يمين الله ملأى سحّاء الليل والنهار لا تفيضها نفقة . ترى لو لم يكن لله يدان على الحقيقة هل كان يحسن هذا التعبير ببسط اليدين .

الا شأهت وجوه المتأولين .

قوله (فاصبر لحكم ربك الخ) فى هذه الآيات الثلاث يثبت الله سبحانه لنفسه عينا يرى بها جميع المرئيات ، وهى صفة حقيقية لله عز وجل على ما يليق به فلا يقتضى اثباتها كونها جارية مركبة من شحم وعصب وغيرهما .

وتفسير المعطلة لها بالرؤية أو بالحفظ والرعاية نفى وتعطيل وأما أفرادها فى بعض النصوص وجمعها فى البعض الآخر فلا حجة لهم فيه على نفيها ، فان لغة العرب تتسع لذلك ، فقد يعبر فيها عن الاثنين بلفظ الجمع ، ويقوم فيها الواحد مقام الاثنين كما قدمنا فى الـيديـن .

وَقَوْلُهُ (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ تَحَاوَرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) وَقَوْلُهُ (وَلَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) .

على أنه لا يمكن استعمال لفظ العين في شيء من هذه المعاني التي ذكروها الا بالنسبة لمن له عين حقيقية فهل يريد هؤلاء المعطلة ان يقولوا ان الله يتمدح بما ليس فيه فيثبت لنفسه عينا وهو عاطل عنها ؟ وهل يريدون ان يقولوا ان رؤيته للاشياء لا تقع بصفة خاصة بها بل هو يراها بذاته كلها ، كما تقول المعتزلة انه قادر بذاته مرید بذاته الخ وفي الآية الاولى يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر لحكمه والاحتمال لما يلقاه من اذى قومه ، ويعطى ذلك الامر بانه بمرأى منه وفي كلاءته وحفظه .

وفي الآية الثانية يخبر الله عز وجل عن نبيه نوح عليه السلام انه لما كذبه قومه وحقت عليهم كلمة العذاب واخذهم الله بالطوفان حمله هو ومن معه من المؤمنين على سفينة ذات ألواح عظيمة من الخشب ودرر ، أى مسامير (جمع دسار) تشد بها الألواح ، وانها كانت تجرى بعين الله وحراسته .

وفي الآية الثالثة : خطاب من الله لنبيه موسى عليه السلام بأنه ألقى عليه محبته ، يعنى أحبه هو سبحانه وحبيه الى خلقه ، وانه صنعه على عينه ورباه تربية استعداد بها للقيام بما حمله من رسالة الى فرعون وقومه .

قوله (قد سمع الله الخ) هذه الآيات ساقها المؤلف لاثبات صفات السمع والبصر والرؤية .

أما السمع : فقد عبرت عنه الآيات بكل صيغ الاشتقاق وهى سمع ويسمع وسميع ونسمع واسمع ، فهو صفة حقيقية لله يدرك

وَقَوْلُهُ (أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ
يَكْتُبُونَ — إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى — أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى —
الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ —
وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرُسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) .

بها الاصوات كما قدمنا .

وأما البصر : فهو الصفة التي يدرك بها الاشخاص والالوان
والرؤية لازمة له ، وقد جاء في حديث أبي موسى (يا أيها الناس
أربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا ولكن تدعون سميعا
بصيرا ان الذي تدعون أقرب الى أحدكم من عنق راحلته) .

وكل من السمع والبصر صفة كمال وقد عاب الله على المشركين
عبادتهم ما لا يسمع ولا يبصر ، وقد نزلت الآية الاولى في شأن
خولة بنت ثعلبة حين ظاهر منها زوجها فجاءت تشكو الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتحاوره وهو يقول لها : ما اراك الا قد
حرمت عليه .

أخرج البخارى في صحيحه عن عروة عن عائشة رضى الله عنها
قالت « الحمد لله الذى وسع سمعه الاصوات ، لقد جاءت المجادلة
تشكو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في ناحية من البيت
ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل (قد سمع الله قول التى تجادلنك
في زوجها) الآيات .

وأما الآية الثانية : فقد نزلت في فنحاص اليهودى الخبيث حين
قال لابی بكر رضى الله عنه لما دعاه الى الاسلام : والله يا ابا بكر
ما بنا الى الله من حاجة من فقر وانه الينا لفقر ولو كان غنيا
ما استقرضنا) . وأما الآية الثالثة : فأم بمعنى بل والهمزة فهي أم
المنقطعة، والاستفهام انكارى يتضمن معنى التوبيخ ، والمعنى بسل

وَقَوْلُهُ (وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ) وَقَوْلُهُ (وَمَكْرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ
وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) .

أيظن هؤلاء في تخفيهم واستتارهم أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ، بلى
نسمع ذلك وحفظتنا لديهم يكتبون ما يقولون وما يفعلون .

وأما الآية الرابعة : فهي خطاب من الله عز وجل لموسى وهارون
عليهما الصلاة والسلام حين شكوا الى الله خوفهما من بطش فرعون
بهما ، فقال لهما : « لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى » .

وأما الآية الخامسة فقد نزلت في شأن أبى جهل لعنه الله حين
نهى النبی صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند البيت فنزل قوله تعالى
(أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ
بِالتَّقْوَى ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) الخ السورة
وقوله (وهو شديد الحال الخ) تضمنت هذه الآيات اثبات
صفتي المكر والكيد وهما من صفات الفعل الاختيارية ، ولكن
لا ينبغى أن يشتق له من هاتين الصفتين اسم ، فيقال مكر وكائد
بل يوقف عندما ورد به النص من أنه خير الماكرين ، وأنه يكيد
لأعدائه الكافرين .

أما قوله سبحانه (وهو شديد الحال) فمعناه شديد الأخذ
بالمعقوبة كما في قوله تعالى (ان بطش ربك لشديد) (ان أخذه
اليسم شديد) .

وقال ابن عباس : معناه شديد الحول ، وقال مجاهد : شديد
القوة والأقوال متقاربة .

وأما قوله (والله خير الماكرين) فمعناه أنفذهم وأسرعهم مكرًا .
وقد فسر بعض السلف مكر الله بعباده بأنه استدراجهم بالنعم
من حيث لا يعلمون ، فكلما أحدثوا ذنبا أحدث لهم نعمة ، وفي

وَقَوْلُهُ (وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَنَا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) وَقَوْلُهُ (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا) وَقَوْلُهُ (إِنْ تَبْدُوا خَيْرًا أَوْ تَخْفُوا)

الحديث « اذا رايت الله يعطى العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلم انما ذلك منه استدراج .

وقد نزلت هذه الآية في شأن عيسى عليه السلام حين اراد اليهود قتله فدخل بيتا فيه كوة وقد ايده الله بجبريل عليه السلام فرفعه الى السماء من الكوة ، فدخل عليه يهودا ليدلهم عليه فيقتلوه فالتقى الله شبه عيسى على ذلك الخائن ، فلما دخل البيت فلم يجد فيه عيسى خرج اليهم وهو يقول ما في البيت أحد ، فقتلوه وهم يرون انه عيسى فذلك قوله تعالى (ومكروا ومكر الله) .

واما قوله تعالى (ومكروا مكرًا الخ) فهي في شأن الرهط التسعة من قوم صالح عليه السلام حين تقاسموا بالله لبيئته وأهله ، اى ليقتلنه بياتا هو وأهله ثم ليقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله ، فكان عاقبة هذا المكر منهم ان مكر الله بهم فدمرهم وقومهم أجمعين .

قوله (ان تبدوا خيرا الخ) هذه الآيات تضمنت اثبات صفات العفو والقدرة والمغفرة والرحمة والعزة والتبارك والجلال والاكرام . فالعفو الذى هو اسمه تعالى معناه المتجاوز عن عقوبة عباده اذا هم تابوا اليه وانابوا كما قال تعالى (وهو الذى يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات) .

ولما كان اكمل العفو ما كان عن قدرة تامة على الانتقام والمواخظة جاء هذان الاسمان الكريمان العفو والقدير ، مقترنين في هذه الآية وفي غيرها .

واما القدرة فهي الصفة التى تتعلق بالممكنات ايجادا واعداما

أَوْ تَعْفُو عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوَاً قَدِيراً . وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا
أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (وَقَوْلُهُ (وَاللَّهُ الْعِزَّةُ
وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) .

فكل ما كان ووقع من الكائنات واقع بمشيئته وقدرته كما في الحديث
« ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » وأما قوله تعالى (وليعفوا
وليصفحوا) الآية ، فقد نزلت في شأن أبي بكر رضى الله عنه حين
حلف لا ينفق على مسطح بن اثاثه ، وكان ممن خاضوا في الائك ،
وكانت أم مسطح بنت خالة أبي بكر ، فلما نزلت هذه الآية قال
أبو بكر : والله انى لاحب أن يغفر الله لى ووصل مسطحاً .

وأما قوله تعالى (والله العزة ولسوله وللمؤمنين) فقد نزلت
في شأن عبد الله بن أبى بن سلول رئيس المنافقين ، وكان في بعض
الغزوات قد أقسم ليخرجن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو
وأصحابه من المدينة فنزل قوله تعالى (يقولون لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل) يقصد بالاعز قبحه الله نفسه وأصحابه .
ويقصد بالاذل رسول الله ومن معه من المؤمنين ، فرد الله عز وجل
عليه بقوله (والله العزة ولسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) .

والعزة صفة اثبتها الله عز وجل لنفسه ، قال تعالى (وهو
العزیز الحكيم) وقال (وكان الله قويا عزيزا) وأقسم بها سبحانه
كما في حديث الشفاعة « وعزتى وكبريائى وعظمتى لاخرجن منها
من قال لا اله الا الله » وأخبر عن ابليس أنه قال « فبعزتك لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين » .

وفي صحيح البخارى وغيره عن أبى هريرة « بينا أيوب عليه
السلام يفتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل يحثى في ثوبه
فناداه ربه : يا أيوب ألم اكن اغنيتك عما ترى ؟ قال بلى وعزتك

وَقَوْلُهُ عَنْ إِبْلِيسَ (فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) وَقَوْلُهُ (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) .

وَقَوْلُهُ (فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا — وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)

ولكن لا غنى لى عن بركتك » .

وقد جاء فى حديث الدعاء الذى علمه النبى صلى الله عليه وسلم لما كان به وجع « أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » .

والعزة تأتى بمعنى القلبة والقهر من عَزَّيْعُزٌ بضم العين فى المضارع يقال عزه اذا غلبه ، وتأتى بمعنى القوة والصلابة من عَزَّ يَعْزُّزُ يَفْتَحُهَا ومنه أرض عزاز للصلابة الشديدة ، وتأتى بمعنى علو القدر والامتناع من الاعداء من عَزَّ يَعْزُّزُ بكسرهما ، وهذه المعانى كلها ثابتة لله عز وجل .

وأما قوله تعالى (تبارك اسم ربك) فإنه من البركة بمعنى دوام الخير وكثرته ، وقوله (ذو الجلال) أى صاحب الجلال والعظمة سبحانه الذى لا شىء أجل ولا أعظم منه (والاكرام) الذى يكرم عما لا يليق به وقيل الذى يكرم عباده الصالحين بأنواع الكرامة فى الدنيا والآخرة والله أعلم .

قوله (فاعبده الخ) تضمنت هذه الآيات الكريمة جملة من صفات القلوب وهى نفى السمى والكفؤ والنديد والولد والشريك والولى من ذل وحاجة . كما تضمنت بعض صفات الاثبات من الملك والحمد والقدرة والكبرياء والتبارك .

أما قوله تعالى (هل تعلم له سميا) فقد قال شيخ الاسلام رحمه الله « قال أهل اللغة : هل تعلم له سميا ، أى نظيرا استحق مثل اسمه ويقال مساميا يساميه ، وهذا معنى ما يروى عن أبسن عباس « هل تعلم له سميا » ، مثلا أو شبيها » .

وَقَوْلُهُ (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ — وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ
مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ)

والاستفهام في الآية انكارى معناه النفى ، أى لا تعلم له سبياً .

وأما قوله (ولم يكن له كفوا أحد) فالمراد بالكفو المكافئ
المساوى . فهذه الآية تنفى عنه سبحانه النظير والشبيه من كل وجه
لأن (أحداً) وقع نكرة في سياق النفى فيعم ، وقد تقدم الكلام على
تفسير سورة الاخلاص كلها فليرجع اليها .

وأما قوله (فلا يجعلوا لله أندادا الخ) فالانداد جمع ند ومعناه
كما قيل النظير المناوىء ، ويقال ليس لله ند ولا ضد ، والمراد نفى
ما يكافئه ويناؤه ، ونفى ما يضاده وينافيه .

وجملة (وأنتم تعلمون) وقعت حالا من الواو في (تجعلوا) ، المعنى
إذا كنتم تعلمون أن الله هو وحده الذى خلقكم ورزقكم وأن هذه
الآلهة التى جعلتموها له نظراء وأمثال وساويتموها به ففى استحقاق
العبادة لا تخلق شيئاً بل هى مخلوقة ولا تملك لكم ضرا ولا نفعا
فاتركوا عبادتها وأفردوه سبحانه بالعبادة والتعظيم .

وأما قوله (ومن الناس من يتخذ الخ) فهو اخبار من الله عن
المشركين بأنهم يحبون آلهتهم كحبهم لله عز وجل ، يعنى يجعلونها
مساوية له في الحب « والذين آمنوا أشد حبا لله » من حب المشركين
لآلهتهم لانهم اخلصوا له الحب وأفردوه به . أما حب المشركين
لآلهتهم فهو موزع بينها ، ولا شك أن الحب إذا كان لجهة واحدة
كان أمكن وأقوى . وقيل : المعنى انهم يحبون آلهتهم كحب المؤمنين
لله والذين آمنوا أشد حبا لله من الكفار لاندادهم .

وَقَوْلُهُ (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا — يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

وأما قوله تعالى (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) الآية ، فقد تقدم الكلام في معنى الحمد ، وأنه الثناء باللسان على النعمة وغيرها ، وقلنا ان اثبات الحمد له سبحانه متضمن لاثبات جميع الكمالات التي لا يستحق الحمد المطلق الا من بلغ غايتها .

ثم نفى سبحانه عن نفسه ما ينافي كمال الحمد من الولد والشريك والولي من الذل ، أى من فقر وحاجة ، فهو سبحانه لا يوالى أحدا من خلقه من أجل ذلة وحاجة اليه ، ثم أمر عبده ورسوله أن يكبره تكبيرا ، أى يعظمه تعظيما وينزهه عن كل صفة نقص وصفه بها أعداؤه من المشركين .

وأما قوله (يسبح لله ، الخ) فالتسبيح هو التنزيه والابعداد عن السوء كما تقدم .

ولا شك أن جميع الأشياء في السموات وفي الأرض تسبح بحمد ربها وتشهد له بكمال العلم والقدرة والعزة والحكمة والتدبير والرحمة قال تعالى (وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)

وقد اختلف في تسبيح الجمادات التي لا تنطق هل هو بلسان الحال أو بلسان المقال وعندى أن الثانى أرجح بدليل قوله تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) اذ لو كان المراد تسبيحها بلسان الحال لكان ذلك معلوما فلا يصح الاستدراك ، وقد قال تعالى خبرا عن داود عليه السلام (انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق والطير محشورة كل له أواب) .

وَقَوْلُهُ (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ
فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا) .

وَقَوْلُهُ (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ
إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ —

واما قوله تعالى (تبارك الذى الخ) فقد قلنا ان معنى تبارك
من البركة وهى دوام الخير وكثرته ولكن لا يلزم من تلك الزيادة
سبق النقص ، فان المراد تجدد الكمالات الاختيارية التابعة لمشيئته
وقدرته ، فانها تتجدد فى ذاته على وفق حكمته ، فالخلو عنها قبل
اقتضاء الحكمة لها لا يعتبر نقصا .

وقد فسر بعضهم التبارك بالثبات وعدم التغير ، ومنه سميت
البركة لثبوت مائها وهو بعيد ، والمراد بالفرقان القرآن ،سمى
بذلك لقوة تفرقته بين الحق والباطل والهدى والضلال ، والتعبير
(ينزل) بالتشديد لامادة التدرج فى النزول ، وانه لم ينزل جملة
واحدة ، والمراد بعبد محمد صلى الله عليه وسلم والتعبير عنه بلقب
العبودية للتشريف كما سبق ، والعالمين جمع عالم ، وهو جمع لم يعقل ،
واختلف فى المراد به ، فقيل الانس ، وقيل الانس والجن ، وهو
والصحيح ، فقد ثبت أن النبی صلى الله عليه وسلم مرسل الى الجن
ايضا ، وانه يجتمع بهم ويقرأ عليهم القرآن ، وأن منهم نفرا اسلم
حين سمع القرآن وذهب يذر قومه به ، كما قال تعالى (واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا انصتوا
فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين) والنذير والمنذر هو من يعلم بالشئ
مع التخويف وضده البشير أو المبشر وهو من يخبرك بما يسرك .
وقوله (ما اتخذ الله من ولد الخ) تضمنت هذه الآية الكريمة

عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ، فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ .

ايضا جملة من صفات التنزيه التي يراد نفى ما لا يليق بالله عز وجل
عنه ، فقد نزه سبحانه نفسه فيها عن اتخاذ الولد وعن وجود اله
خالق معه وعما يصفه به المفترون الكذابون ، كما نهى عن ضرب
الامثال له والاشراك به بلا حجة ولا برهان ، والقول عليه سبحانه
بلا علم ولا دليل .

فهذه الآية تضمنت اثبات توحيد الالهية واثبات توحيد
الربوبية ، فان الله بعدما أخبر عن نفسه بعدم وجود اله معه
أوضح ذلك بالبرهان القاطع والحجة الباهرة فقال (اذا) أى اذ
لو كان معه آلهة كما يقول هؤلاء المشركون لذهب كل اله بما خلق
ولملا بعضهم على بعض .

وتوضيح هذا الدليل أن يقال : اذا تعددت الآلهة فلا بد أن
يكون لكل منهم خلق وفعل ولا سبيل الى التعاون فيما بينهم فان
الاختلاف بينهم ضرورى ، كما أن التعاون بينهم فى الخلق يقتضى
عجز كل منهم عند الانفراد ، والعاجز لا يصلح الها ، فلا بد أن يستقل
كل منهم بخلقه وفعله ، وحينئذ فاما أن يكونوا متكافئين فى القدرة
لا يستطيع كل منهم أن يقهر الآخرين ويفلبهم فيذهب كل منهم بما خلق
ويختص بملكه كما يفعل ملوك الدنيا من انفراد كل بملكته اذا
لم يجد سبيلا لقهر الآخرين ، واما أن يكون أحدهم اقوى من
الآخرين فيفلبهم ويقهرهم وينفرد دونهم بالخلق والتدبير ، فلا بد اذا
مع تعدد الآلهة من أحد هذين الامرين ، اما ذهاب كل بما خلق او علو
بعضهم على بعض .

وذهاب كل بما خلق غير واقع لانه يقتضى التنافر والانفصال بين

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِثْمَ وَالْبَغْيِ
بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى
اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ .

أجزاء العالم مع أن المشاهدة تثبت أن العالم كله كجسم واحد مترابط
الأجزاء متنسق الانحاء فلا يمكن أن يكون إلا اثرا لاله واحد وعلو
بعضهم على بعض يقتضى أن يكون الاله هو العالى وحده .

وأما قوله تعالى (فلا تضربوا لله الامثال) فهو نهى له أن يشبهوه
بشيء من خلقه فانه سبحانه له المثل الاعلى الذى لا يشركه فيه مخلوق .

وقد قدمنا أنه لا يجوز أن يستعمل في حقه من الاقيسة ما يقتضى
المماثلة أو المساواة بينه وبين غيره كقياس التمثيل وقياس الشمول .
وانما يستعمل في ذلك قياس الأولى الذى مضمونه أن كل كمال
وجودى غير مستلزم للعدم ولا للنقص بوجه من الوجوه اتصف
به المخلوق ، فالخالق أولى أن يتصف به لانه هو الذى وهب المخلوق
ذلك الكمال ، ولانه لو لم يتصف بذلك الكمال مع امكان أن يتصف
به لكان في الممكنات من هو اكمل منه وهو محال وكذلك كل نقص
يتنزه عنه المخلوق فالخالق أولى بالتنزه عنه .

وأما قوله (قل انما حرم الخ) فانما أداة قصر تفيد اختصاص
الاشياء المذكورة بالحرمة فيفهم أن من عداها من الطيبات فهو
مباح لا حرج فيه ، كما افادته الآية التى قبلها .

والفواحش جمع فاحشة وهى الفعل المتناهية فى القبح وخصها
بعضهم بما تضمن شهوة ولذة من المعاصى كالزنا واللواط ونحوهما
من الفواحش الظاهرة ، وكالكبر والعجب وحب الرياسة من
الفواحش الباطنة .

وَقَوْلُهُ (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) فِي سَبْعِ مَوَاضِعَ ، فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ قَوْلُهُ (إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) .

وأما الاثم فمنهم من فسره بمطلق المعصية فيكون المراد منه ما دون الفاحشة ، ومنهم من خصه بالخمر فانها جُماع الاثم ، وأما البغى بغير الحق فهو التسلط والاعتداء على الناس من غير أن يكون ذلك على جهة القصاص والمماثلة .

وقوله (وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) وحرّم أن تعبدوا مع الله غيره وتتقربوا اليه بأي نوع من أنواع العبادات والقربات كالدعاء والنذر والذبح والخوف والرجاء ونحو ذلك ، مما يجب أن يخلص فيه العبد قلبه ويسلم وجهه لله وحرّم أن يتخذوا من دونه سبحانه أولياء يشرعون لهم من الدين ما لم يأذن به الله في عباداتهم ومعاملاتهم كما فعل أهل الكتاب مع الاحبار والرهبان حيث اتخذوهم أربابا من دون الله في التشريع فأحلوا ما حرم الله وحرّموا ما أحل الله فاتبعوهم في ذلك وقوله « ما لم ينزل به سلطانا » قيد لبيان الواقع ، فان كل ما عبد أو اتبع أو اطيع من دون الله قد فعل به ذلك من غير سلطان .

وأما القول على الله بلا علم فهو باب واسع جدا يدخل فيه كل خبر عن الله بلا دليل ولا حجة ، كنفى ما أثبتته أو أثبات ما نفاه أو الالحاد في آياته بالتحريف والتأويل .

قال العلامة ابن القيم في كتابه أعلام الموقعين (وقد حرم الله القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء وجعله من أعظم المحرمات

وَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)
ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) وَقَالَ فِي سُورَةِ طه (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ
اسْتَوَى) وَقَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) .

بل جعله في المرتبة العليا منها) قال تعالى (قل إنما حرم ربي الفواحش
ما ظهر منها وما بطن) الآية ، فرتب المحرمات أربع مراتب وبدأ
بأسهلها وهو الفواحش وثنى بما هو أشد تحريماً منه وهو الإثم والظلم
ثم ثلث بما هو أعظم تحريماً منها وهو الشرك به سبحانه ثم رابع بما
هو أعظم تحريماً من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم وهذا يعم
القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله في دينه
وشرعه .

وقوله (الرحمن على العرش استوى الخ) هذه هي المواضع
السبعة التي أخبر فيها سبحانه باستوائه على العرش وكلها قطعية
الثبوت ، لأنها من كتاب الله ، فلا يملك الجهمي المعطل لها ردا ولا
انكارا ، كما أنها صريحة في بابها لا تحتل تأويلا ، فان لفظ استوى في
اللغة إذا عدى بعلی لا يمكن أن يفهم منه إلا العلو والارتقاء ، ولهذا لم
تخرج تفسيرات السلف لهذا اللفظ عن أربع عبارات ، ذكرها العلامة
ابن القيم في النونية حيث قال :

قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَارِسِ الطُّمَّانُ	فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ
تَفَعَّ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانٍ	وَهِيَ اسْتَقَرَّ وَقَدْ عَلَا وَكَذَلِكَ أَرِ
وَأَبُو عُبَيْدَةَ صَاحِبُ الشَّيْبَانِي	وَكَذَلِكَ قَدْ صَعِدَ الَّذِي هُوَ رَابِعٌ
أَدْرَى مِنَ الْجَهْمِيِّ بِالْقُرْآنِ	يَخْتَارُ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بما أخبر به سبحانه عن نفسه من
أنه مستو على عرشه بائن من خلقه بالكيفية التي يعلمها هو جل شأنه
كما قال مالك وغيره (الاستواء معلوم والكيف مجهول) أما ما يشغب

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْمُسْجِدَةِ (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)

به أهل التعطيل من إيراد اللوازم الفاسدة على تقرير الاستواء فهي لا تلزمنا لاتنا لا نقول بأن فوقيته على العرش كفوقية المخلوق على المخلوق .

وأما ما يحاولون به صرف هذه الآيات الصريحة عن ظواهرها بالتأويلات الفاسدة التي تدل على حيرتهم واضطرابهم كتفسيرهم استوى باستولى أو حملهم (على) على معنى الى واستوى بمعنى قصد الى آخر ما نقله عنهم حامل لواء التجهم والتعطيل زاهد الكوثري فكلها تشفيب بالباطل وتغيير في وجه الحق لا يغنى عنهم في قليل ولا كثير وليت شعري ماذا يريد هؤلاء المعطلة أن يقولوا ؟ أيريدون أن يقولوا ليس في السماء رب يقصد ولا فوق العرش اله يعبد ؟ فأين يكون اذن ؟ ولهم يضحكون منا حين نسأل عنه بأين ، ونسوا أن أكمل الخلق وأعلمهم بربهم صلوات الله عليه وسلامه قد سأل عنه بأين حين قال للجارية أين الله ؟ ورضى جوابها حين قالت في السماء ، وقد أجاب كذلك من سأل به بأين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض بأنه كان في عماء ، الحديث ، ولم يرو عنه أنه زجر السائل ولا قال له انك غلطت في السؤال .

ان قصارى ما يقوله المتحذلق منهم في هذا الباب ان الله تعالى كان ولا مكان ، ثم خلق المكان وهو الآن على ما كان قبل خلق المكان فماذا يعنى هذا المخرف بالمكان الذي كان الله ولم يكن ؟ هل يعنى به تلك الامكنة الوجودية التي هي داخل محيط العالم ؟ فهذه امكنة

وَقَوْلُهُ (يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ — بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ —
إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ — يَا هَامَانَ ابْنِ لِي
صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ —

حادثة ونحن لا نقول بوجود الله في شيء منها إذ لا يحصره ولا يحيط
به شيء من مخلوقاته .

وأما إذا أراد بها المكان العدمي الذي هو خلاء محض لا وجود
فيه ، فهذا لا يقال انه لم يكن ثم خلق ، إذا لا يتعلق به الخلق فانه
أمر عدمي — فاذا قيل ان الله في مكان بهذا المعنى كما دلت عليه
الآيات والاحاديث فأي محذور في هذا ؟

بل الحق ان يقال كان الله ولم يكن شيء قبله ثم خلق السموات
والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ثم استوى على العرش ،
و (ثم) هنا للترتيب الزماني لا لمجرد المطف .

وقوله (يا عيسى الخ) هذه الآيات جاءت مؤيدة لما دلت عليه
الآيات السابقة من علوه تعالى وارتفاعه فوق العرش مبينا للخلق ،
وناعية على المعطلة جحودهم وانكارهم لذلك ، تعالى الله عما يقولون
علوا كبيرا . ففي الآية الاولى ينادى الله رسوله وكلمته عيسى بن
مريم عليه الصلاة والسلام بانه متوفيه ورافعه اليه حين دبر
اليهود قتله ، والضمير في قوله (الى) هو ضمير الرب جل شأنه لا يحتمل
غير ذلك ، فتاويله بان المراد الى محل رحمتي أو مكان ملائكتي الخ
لا معنى له ومثل ذلك يقال أيضا في قوله سبحانه ردا على ما ادعاه
اليهود من قتل عيسى وصلبه (بل رفعه الله اليه) .

وقد اختلف في المراد بالتوفي المذكور في الآية فحمله بعضهم على
الموت ، والاكثر على أن المراد به النوم ، ولفظ التوفي يستعمل
فيه قال تعالى (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) ؟

أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا .
 وَقَوْلُهُ (أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ
 تَمُورُ . أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ
 نَذِيرٌ) —

ومنهم من زعم أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا وإن التقدير انسى
 رافعك ومتوفيك ، أى مميتك بعد ذلك . والحق أنه عليه السلام
 رفع حيا وأنه سينزل قرب قيام الساعة لصحة الحديث بذلك .

وأما قوله سبحانه (إليه يصعد الكلم الطيب) فهو صريح أيضا
 في صعود أقوال العباد وأعمالهم إلى الله عز وجل يصعد بها الكرام
 الكاتبون كل يوم عقب صلاة العصر وعقب صلاة الفجر كما جاء في
 الحديث (فيخرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم — وهو أعلم — كيف
 تركتم عبادي؟ فيقولون ياربنا أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون؟

وأما قوله سبحانه حكاية عن فرعون (ياهايمان ... الخ) فهو دليل
 على أن موسى عليه السلام أخبر فرعون الطاغية بأن الهة في السماء
 فأراد أن يتلمس الأسباب للوصول إليه تمويهًا على قومه ، فأمر وزيره
 هامان أن يبنى له الصرح ، ثم عقب على ذلك بقوله (وانى لأظنه)
 — أى موسى — كاذبا فيما أخبر به من كون الهة في السماء . فمن إذا
 أشبه بفرعون وأقرب إليه نسبا ؟ نحن أم هؤلاء المعطلة ؟ ان فرعون
 كذب موسى في كون الهة في السماء ، وهو نفس ما يقوله هؤلاء .

قوله (أَمِنْتُمْ الخ) هاتان الآيتان فيهما التصريح بأن الله عز
 وجل في السماء ولا يجوز حمل ذلك على أن المراد به العذاب أو
 الأمر أو الملك كما يفعل المعطلة لأنه قال (من) وهى للعاقل ، وحملها
 على الملك اخراج اللفظ عن ظاهره بلا قرينة توجب ذلك .

ولا يجوز أن يفهم من قوله في السماء أن السماء ظرف له سبحانه

(هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ، يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ، وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) .

بل ان اريد بالسماء هذه المعروفة ، ففي بمعنى (على) كما في قوله تعالى (لاصلبنكم في جذوع النخل) وان اريد بها جهة العلو (ففي) على حقيقتها فانه سبحانه في أعلى العلو .

قوله (هو الذي خلق السموات الخ) تضمنت هذه الآية الكريمة اثبات صفة المعية له عز وجل وهي على نوعين :

١ — معية عامة : شاملة لجميع المخلوقات ، فهو سبحانه مع كل شيء بعلمه وقدرته وقهره واحاطته ، لا يغيب عنه شيء ولا يعجزه ، وهذه هي المعية المذكورة في الآية .

ففي هذه الآية يخبر عن نفسه سبحانه بأنه هو وحده الذي خلق السموات والارض معنى أوجدهما على تقدير وترتيب سابق في مدة ستة أيام ، ثم علا بعد ذلك وارتفع على عرشه لتدبير أمور خلقه ، وهو مع كونه فوق عرشه لا يغيب عنه شيء من العالمين العلوي والسفلي ، فهو يعلم ما يلج ، أى يدخل في الارض ، وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج ، أى يصعد فيها — ولا شك أن من كان علمه وقدرته محيطين بجميع الاشياء فهو مع كل شيء ، ولذلك قال (وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) .

قوله (ما يكون من نجوى الخ) يثبت سبحانه شمول علمه واحاطته بجميع الاشياء ، وانه لا يخفى عليه نجوى المتناجين ، وانه شهيد على الاشياء كلها مطلع عليها .

واضافة « نجوى » الى ثلاثة من اضافة الصفة الى الموصوف

وَقَوْلُهُ (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ — لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)

والتقدير ما يكون من ثلاثة نجوى ، أى متاجين .

وأما الآيات الباقية فهي فى اثبات المعية الخاصة التى هى معيته لرسله تعالى وأوليائه بالنصر والتأييد والمحبة والتوفيق والالهام .
فقوله تعالى (لا تحزن ان الله معنا) حكاية عما قاله عليه الصلاة والسلام لآبى بكر الصديق وهما فى الغار ، فقد أحاط المشركون بهم الغار عندما خرجوا فى طلبه عليه السلام ، فلما رأى أبو بكر ذلك انزعج وقال : والله يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم ما حكاه الله عز وجل هنا (لا تحزن ان الله معنا) .

فالمراد بالمعية هنا معية النصر والعصمة من الأعداء .

وأما قوله (اننى معكما أسمع وأرى) فقد تقدم الكلام ؟
وانها خطاب لموسى وهارون عليهما السلام ان لا يخافا بطش فرعون بهما ، لان الله عز وجل معهما بنصره وتأييده .

وكذلك بقية الآيات يخبر الله فيها عن معيته للمتقين الذين يراقبون الله عز وجل فى أمره ونهيه ويحفظون حدوده وللمحسنين الذين يلتزمون الاحسان فى كل شىء ، والاحسان فى كل شىء بحسبه فهو فى العبادة مثلا ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك كما جاء فى حديث جبريل عليه السلام .

وكذلك يخبر عن معيته للصابرين الذين يحبسون انفسهم على

وَقَوْلُهُ (إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى - إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ - وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ - كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) .

وَقَوْلُهُ (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا - وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا)

ما تكره ويتحملون المشاق والأذى في سبيل الله وابتغاء وجهه صبرا على طاعة الله وصبرا عن معصيته وصبرا على قضائه .

تضمنت هذه الآيات اثبات صفة الكلام لله عز وجل .

وقد تنازع الناس حول هذه المسألة نزاعا كبيرا . فمنهم من جعل كلامه سبحانه مخلوقا منفصلا منه ، وقال ان معنى متكلم خالق للكلام وهم المعتزلة . ومنهم من جعله لازما لذاته أزلا وأبدا لا يتعلق بمشيئته وقدرته ونفى عنه الحرف والصوت وقال انه معنى واحد في الازل ، وهم الكلابية والاشعرية .

ومنهم من زعم انه حروف وأصوات قديمة لازمة للذات ، وقال انها مقترنة في الازل ، فهو سبحانه لا يتكلم بها شيئا بعد شيء وهم بعض الغلاة .

ومنهم من جعله حادثا قائما بذاته تعالى ومتعلقا بمشيئته وقدرته ولكن زعم أن له ابتداء في ذاته وأن الله لم يكن متكلمًا في الازل ، وهم الكرامية . ويطول بنا القول لو اشتغلنا بمناقشة هذه الأقوال وافسادها على أن فسادها بين لكل ذي فهم سليم ونظر مستقيم .

وخلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة أن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ، وأن الكلام صفة له قائمة بذاته يتكلم بها بمشيئته وقدرته ، فهو لم يزل ولا يزال متكلمًا إذا شاء وما تكلم الله به فهو قائم به ليس مخلوقًا منفصلا عنه كما تقول المعتزلة ولا لازما

١ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ — وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا (وَقَوْلُهُ) وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا — مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ — وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ — وَنَقَّيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (وَقَوْلُهُ) وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ — وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ) .

اذا ته لزوم الحياة لها كما تقول الاشاعرة بل هو تابع لمشيئته وقدرته .
والله سبحانه نادى موسى بصوت ونادى آدم وحواء بصوت ،
وينادى عباده يوم القيامة بصوت ويتكلم بالوحي بصوت ، ولكن
الحروف والاصوات التى تكلم الله بها صفة له غير مخلوقة ولا تشبه
اصوات المخلوقين وحروفهم ، كما ان علم الله القائم بذاته ليس مثل
علم عباده ، فان الله لا يماثل المخلوقين فى شيء من صفاته .

والآيتان الاوليان هنا وهما من سورة النساء تنفيان ان يكون
أحد اصدق حديثا وقولا من الله عز وجل ، بل هو سبحانه اصدق
من كل أحد فى كل ما يخبر به ، وذلك لان علمه بالحقائق المخبر عنها
اشمل واضبط ، فهو يعلمها على ما هى به من كل وجه ، وعلم
غيره ليس كذلك .

واما قوله (واذا قال الله يا عيسى الخ) فهو حكاية لما سيكون
يوم القيامة من سؤال الله لرسوله وكلمته عيسى عما نسبته اليه الذين
الهموه وامه من النصارى من انه هو الذى امرهم بأن يتخذوه وامه
الهمين من دون الله . وهذا السؤال لاطهار براءة عيسى عليه السلام
وتسجيل الكذب والبهتان على هؤلاء الضالين الاغبياء .

واما قوله (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) فالمراد صدقا فى
اخباره وعدلا فى احكامه لان كلامه تعالى اما اخبار وهى كلها فى
غاية الصدق ، واما امر ونهى وكلها فى غاية العدل الذى لا جور فيه

وَقَوْلُهُ (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ — وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ — وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ — يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ — وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) .

لابتنائها على الحكمة والرحمة ، والمراد بالكلمة هنا الكلمات لانها اضيفت الى معرفة فتفيد معنى الجمع كما في قولنا رحمة الله ونعمة الله .

واما قوله (وكلم الله موسى تكليما) وما بعدها من الآيات التي تدل على ان الله قد نادى موسى وكلمه تكليما ، وناجاه حقيقة من وراء حجاب وبلا واسطة ملك ، فهي ترد على الاشاعرة الذين يجعلون الكلام معنى قائما بالنفس بلا حرف ولا صوت ، فيقال لهم كيف سمع موسى هذا الكلام النفسى ؟ فان قالوا التى الله فى قلبه علما ضروريا بالمعاني التى يريد ان يكلمه بها لم يكن هناك خصوصية لموسى فى ذلك ، وان قالوا ان الله خلق كلاما فى الشجرة او فى الهواء ونحو ذلك لزم ان تكون الشجرة هى التى قالت لموسى (انى انا ربك) .

وكذلك ترد عليهم هذه الآيات فى جعلهم الكلام معنى واحدا فى الازل لا يحدث منه فى ذاته شىء ، فان الله يقول (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) فهى تفيد حدوث الكلام عند مجيء موسى للميقات ، ويقول (وناديناه من جانب الطور الايمن) فهذا يدل على حدوث النداء عند جانب الطور الايمن ، والنداء لا يكون الا صوتا مسموعا . وكذلك قوله تعالى فى شأن آدم وحواء (وناداهما ربهما) الآية ، فان هذا النداء لم يكن الا بعد الوقوع فى الخطيئة فهو حادث قطعا . وكذلك قوله تعالى (ويوم يناديهم الخ) فبان

وَقَوْلُهُ (إِنْ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ — لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَائِشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ — وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .

هذا النداء والقول سيكون يوم القيامة ، وفي الحديث « ما من عبد الا نسيكله الله يوم القيامة ليس بينه ترجمان » .

قوله (وان احد من المشركين الخ) هذه الآيات الكريمة تفيد ان القرآن المتلو المسموع المكتوب بين دفتي المصحف هو كلام الله على الحقيقة وليس فقط عبارة او حكاية عن كلام الله كما يقوله الاشعرية ، واضافته الى الله عز وجل تدل على انه صفة له قائمة به وليست كاضافة البيت او الناقة ، فانها اضافة معنى الى الذات تدل على ثبوت المعنى لتلك الذات بخلاف اضافة البيت او الناقة فانها اضافة اعيان — وهذا يرد على المعتزلة في قولهم انه مخلوق منفصل عن الله ، ودلت هذه الآيات أيضا على ان القرآن منزل من عند الله بمعنى ان الله تكلم به بصوت سمعه جبريل عليه السلام ، فنزل به وأداه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سمعه من الرب جل شأنه .

وخلاصة القول في ذلك ان القرآن العربي كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا واليه يعود . والله تكلم به على الحقيقة ، فهو كلامه حقيقة لا كلام غيره واذا قرا الناس القرآن او كتبوه في المصاحف لم يخرج ذلك عن ان يكون كلام الله ، فان الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئا لا الى من بلغه مؤديا والله تكلم بحروفه ومعانيه بلفظ نفسه ليس شيء منه كلاما لغيره لا لجبريل ولا لمحمد ولا لغيرهما والله تكلم به أيضا بصوت نفسه ، فاذا قراه العباد قراوه بصوت

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُسْلِمِينَ . وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ
إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) وَقَوْلُهُ (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى
رَبِّهَا نَاضِرَةٌ — عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ — لِلَّذِينَ احْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)

أنفسهم ، فاذا قال القارئ مثلا (الحمد لله رب العالمين) كان هذا
الكلام المسموع منه كلام الله لا كلام نفسه وكان هو قراه بصوت
نفسه لا بصوت الله . وكما أن القرآن كلام فكذا هو كتابه لانه
كتبه في اللوح المحفوظ ولانه مكتوب في المصحف قال تعالى (انه
لقرآن كريم في كتاب مكنون) وقال (انه لقرآن مجيد في لوح محفوظ)
وقال (في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة) .

والقرآن في الاصل مصدر كالقراءة ، كما في قوله تعالى (ان
قرآن الفجر كان مشهودا) .

ويراد به هنا ان يكون علما على هذا المنزل من عند الله المكتوب
بين دفتي المصحف المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سورة منه .

وقوله (قل نزل به روح القدس من ربك بالحق) يدل على ان
ابتداء نزوله من عند الله عز وجل ، وأن روح القدس جبريل
عليه السلام تلقاه عن الله سبحانه بالكيفية التي يعلمها .

قوله (وجوه يومئذ ناضرة الخ) هذه الآيات تثبت رؤية
المؤمنين لله عز وجل يوم القيامة في الجنة .

وقد نفاهما المعتزلة بناء على نفیهم الجهة عن الله لان المرئى يجب
ان يكون في جهة من الرأى ، وما دامت الجهة مستحيلة وهى شرط في
الرؤية فالرؤية كذلك مستحيلة ، واحتجوا من النقل بقوله تعالى
(لا تدركه الابصار) وقوله لموسى عليه السلام حين سأله الرؤية

وَقَوْلُهُ (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) .
وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللَّهِ كَثِيرٌ . مَنْ قَدَّبَرَ الْقُرْآنَ طَالِباً لِلْهُدَى
مِنْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ .

(لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى) .
واما الاشاعرة فهم مع نفيم الجهة كالمعتزلة يثبتون الرؤية ،
ولذلك حاروا في تفسير تلك الرؤية ، فمنهم من قال يرونها من
جميع الجهات ومنهم من جعلها رؤية بالبصيرة لا بالبصر ، وقال
المقصود زيادة الانكشاف والتجلى حتى كأنها رؤية عين .

وهذه الآيات التى أوردها المؤلف حجة على المعتزلة في نفيم
الرؤية . فان الآية الاولى عَدَّى النظر فيها بالى فيكون بمعنى الابصار
يقال نظرت اليه وابصرته بمعنى ومتعلق النظر هو الرب جل شأنه .

واما ما يتكلفه المعتزلة من جعلهم (ناظرة) بمعنى منتظرة و (الى)
بمعنى النعمة ، والتقدير « ثواب ربها منتظرة » فهو تأويل مضحك .

واما الآية الثانية فتفيد أن أهل الجنة وهم على أرائكهم ،
يعنى اسرتهم — جمع أريكة — ينظرون الى ربهم .

واما الآيتان الاخيرتان فقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم
تفسير الزيادة بالنظر الى وجه الله عز وجل ويشهد لذلك ايضا قوله
تعالى فى حق الكفار (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فدل حجب
هؤلاء على أن اولياءه يرونها ، وأحاديث الرؤية متواترة فى المعنى عند
أهل العلم بالحديث لا ينكرها الا ملحد زنديق .

واما ما احتج به المعتزلة من قوله تعالى (لا تدركه الابصار)
فلا حجة لهم فيه ، لان نفى الادراك لا يستلزم نفى الرؤية ، فالمراد

إن الإبصار تراه ولكن لا تحيط به رؤية كما أن العقول تعلمه ولكن لا تحيط به علما ، لأن الإدراك هو الرؤية على جهة الاحاطة فهو رؤية خاصة ونفى الخاص لا يستلزم نفى مطلق الرؤية وكذلك استدلالهم على نفى الرؤية بقوله تعالى لموسى عليه السلام (لن ترانى) لا يصلح دليلا بل الآية تدل على الرؤية من وجوه كثيرة منها :

١ - وقوع السؤال من موسى وهو رسول الله وكليمه ، وهو أعلم بما يستحيل في هل الله من هؤلاء المعتزلة ، فلو كانت الرؤية ممتنعة لما طلبها .

٢ - أن الله عز وجل علق الرؤية على استقرار الجبل حال التجلى وهو ممكن والمطلق على الممكن ممكن .

٣ - أن الله تجلى للجبل بالفعل وهو جماد ، فلا يمتنع إذا أن يتجلى لأهل محبته وأصفيائه .

وأما قولهم أن (لن) لتأييد النفي وإنما تدل على عدم وقوع الرؤية أصلا فهو كذب على اللغة ، فقد قال تعالى حكاية عن الكفار (ولن يتمنوه أبدا) ثم قال (ونادوا يا مالك ليقتض علينا ربك) فأخبر عن عدم تمنيه للموت (بلن) ثم أخبر عن تمنيه لهم في النار .

وإذا فمعنى قوله (لن ترانى) لن تستطيع رؤيتى في الدنيا لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته سبحانه ، ولو كانت الرؤية ممتنعة لذاتها لقال انى لا أرى أو لا يجوز رؤيتى أو لست بمرى ونحو ذلك والله أعلم .

(مباحث عامة حول آيات الصفات)

ان الناظر في آيات الصفات التى ساقها المؤلف - رحمه الله -

يستطيع أن يستنبط منها قواعد وأصولاً هامة يجب الرجوع إليها في هذا الباب .

الاصل الاول : اتفق السلف على أنه يجب الايمان بجميع الاسماء الحسنى وما دلت عليه من الصفات وما ينشأ عنها من الافعال ، مثال ذلك (القدرة) مثلاً يجب الايمان بأنه سبحانه على كل شىء قدير . والايمان بكمال قدرته ، والايمان بأن قدرته نشأت عنها جميع الكائنات ، وهكذا بقية الاسماء الحسنى على هذا النمط . وعلى هذا فما ورد في هذه الآيات التى ساقها المصنف من الاسماء الحسنى فانها داخلة في الايمان بالاسم ، وما فيها من ذكر الصفات مثل عزة الله وقدرته وعلمه وحكمته وارادته ومشيبته فانها داخلة في الايمان بالصفات وما فيها من ذكر الافعال المطلقة والمقيدة ، مثل يعلم كذا ويحكم ما يريد ، ويرى ويسمع ، وينادى ويناجى ، وكلم ويكلم ، فانها داخلة في الايمان بالافعال .

الاصل الثانى : دلت هذه النصوص القرآنية على أن صفات البارى قسمان :

١ — صفات ذاتية لا تنفك عنها الذات ، بل هى لازمة لها ازلاً وأبداً ولا تتعلق بها . مشيبته تعالى وقدرته ، وذلك كصفات الحياة والعلم والقدرة والقوة والعزة والملك والعظمة والكبرياء والمجد والجلال السخ .

٢ — صفات فعلية تتعلق بها مشيبته وقدرته كل وقت وآن وتحدث بمشيبته وقدرته ، آحاد تلك الصفات من الافعال وان كان هو لم يزل موصوفاً بها بمعنى أن نوعها قديم وأفرادها حادثة ، فهو سبحانه لم يزل فعلاً لما يريد ، ولم يزل ولا يزال يقول ويتكلم ويخلق ويدبر الامور وأفعاله تقع شيئاً فشيئاً تبعاً لحكمته وارادته فعلى المؤمن الايمان بكل ما نسبته الله لنفسه من الافعال المتعلقة

بذاته كالاستواء على العرش والمجىء واللاتيان والنزول الى السماء الدنيا ، والضحك والرضى والغضب والكراهية والمحبة المتعلقة بخلقه كالخلق والرزق والاحياء والاماتة وانواع التدبير المختلفة .

الاصل الثالث : اثبات تفرد الرب جل شأنه بكل صفة كمال وانه ليس له شريك او مثيل في شىء منها

وما ورد في الآيات السابقة من اثبات المثل الاعلى له وحده ونفى الند والمثل والكفاء والسمى والشريك عنه يدل على ذلك كما يدل على انه منزه عن كل نقص وعيب وآفة .

الاصل الرابع : اثبات جميع ما ورد به الكتاب والسنة من الصفات ، لا فرق بين الذاتية منها كالعلم والقدرة والارادة والحياة والسمع والبصر ونحوها ، والفعلية كالرضا والمحبة والغضب والكراهة ، وكذلك لا فرق بين اثبات الوجه واليدين ونحوهما ، وبين الاستواء على العرش والنزول ، فكلها مما اتفق السلف على اثباته بلا تأويل ولا تعطيل ، وبلا تشبيه وتمثيل .

والمخالف في هذا الاصل فريقان :

١ - الجهمية : ينفون الاسماء والصفات جميعا .

٢ - المعتزلة : فانهم ينفون جميع الصفات ويثبتون الاسماء والاحكام ، فيقولون عليم بلا علم وقدير بلا قدرة وحى بلا حياة الخ . وهذا القول في غاية الفساد ، فان اثبات موصوف بلا صفة واثبات ما للصفة للذات المجردة محال في العقل كما هو باطل في الشرع .

اما الاشعرية ومن تبعهم فانهم يوافقون أهل السنة في اثبات سبع صفات يسمونها صفات المعانى ويدعون ثبوتها بالعقل وهى

(فَصْلٌ)

ثُمَّ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَالسُّنَّةُ تُقَسَّرُ
الْقُرْآنَ وَتُبَيِّنُهُ وَتَدُلُّ عَلَيْهِ وَتُعَبِّرُ عَنْهُ .

الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام ، ولكنهم
وافقوا المعتزلة في نفي ما عدا هذه السبع من الصفات الخيرية التي
صح بها الخير .

والكل محجوجون بالكتاب والسنة واجماع الصحابة والقرون
المفضلة على الاثبات العام .

قوله (ثم في سنة رسول الله) عطف على قوله فيما تقدم ، وقد
دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة الاخلاص الخ
يعنى ودخل فيها ما وصف به الرسول صلى الله عليه وسلم ربه فيما
وردت به السنة الصحيحة .

والسنة هي الاصل الثاني الذي يجب الرجوع اليه ، والتمويل
عليه بعد كتاب الله عز وجل قال تعالى (وانزل الله عليك الكتاب
والحكمة) والمراد بالحكمة السنة ، وقال (ويعلمهم الكتاب والحكمة)
وقال امرا لنساء نبيه (وانكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله
والحكمة) وقال سبحانه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهاوا) وقال صلوات الله وسلامه عليه وآله (الا انى اوتيت القرآن
ومثله معه) وحكم السنة حكم القرآن في ثبوت العلم واليقين والاعتقاد
والعمل ، فان السنة توضيح للقرآن وبيان للمراد منه تفصل مجمله
وتقيد مطلقه وتخصص عمومه ، كما قال تعالى (وانزلنا اليك الذكر
لنبين للناس ما نزل اليهم) .

واهل البدع والاهواء بازاء السنة الصحيحة فريقان :

وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ الْأَحَادِيثِ الصَّاحِحِ الَّتِي
تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَحْرِفَةِ بِالْقَبُولِ ، وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ .
فَمِنْ ذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا
كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ ، فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟
مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

١ - فريق لا يتورع عن ردها وانكارها إذا وردت بما يخالف
مذهبه بدعوى أنها أحاديث آحاد لا تفيد إلا الظن ، والواجب مضي
باب الاعتقاد هو اليقين ، وهؤلاء هم المعتزلة والفلاسفة .

٢ - وفريق يثبتها ويعتقد بصحة النقل ولكنه يشتغل بتأويلها
كما يشتغل بتأويل آيات الكتاب حتى يخرجها عن معانيها الظاهرة
إلى ما يريد من معان بالآحاد والتحريف ، وهؤلاء هم متأخرو
الاشعرية وأكثرهم توسعا في هذا الباب الفزالي والرازي .

قوله (وما وصف الرسول به الخ) يعنى أنه كما وجب الإيمان
بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل
ولا تكييف ولا تمثيل ، كذلك يجب الإيمان بكل ما وصفه به أعلم
الخلق بربه وما يجب له وهو رسوله الصادق المصدوق صلوات
الله وسلامه عليه وآله .

قوله (كذلك) أى إيماننا مثل ذلك الإيمان خاليا من التحريف
والتعطيل ومن التكييف والتمثيل بل اثبات لها على الوجه اللائق
بعظمة الرب جل شأنه .

قوله (فمن ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم الخ) الكلام على
هذا الحديث من جهتين (الأولى) صحته من جهة النقل وقد ذكر المؤلف
رحمه الله أنه متفق عليه . ويقول الذهبى في كتابه « المطول للمعلى الففار »
ان أحاديث النزول متواترة تفيد القطع ، وعلى هذا فلا مجال

لأنكار أو جحد .

(الثانية) ما يفيد هذا الحديث وهو اخباره صلى الله عليه وسلم بنزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة الخ . ومعنى هذا أن النزول صفة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته ، فهو لا يماثل نزول الخلق كما أن استواءه لا يماثل استواء الخلق .

يقول شيخ الاسلام رحمه الله في تفسير سورة الاخلاص :

« فالرب سبحانه اذا وصفه رسوله بأنه ينزل الى سماء الدنيا كل ليلة وأنه يدنو عشية عرفة الى الحجاج وأنه كلم موسى في الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة وأنه استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها لم يلزم من ذلك أن تكون هذه الافعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الاعيان المشهودة حتى يقال ذلك يستلزم تفريغ مكان وشغل آخر .

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بالنزول صفة حقيقية لله عز وجل على الكيفية التي يشاء فيثبتون النزول كما يثبتون جميع الصفات التي ثبتت في الكتاب والسنة ، ويقفون عند ذلك فلا يكيفون ولا يمثلون ولا ينفون ولا يعطلون ، ويقولون ان الرسول أخبرنا أنه ينزل ولكنه لم يخبرنا كيف ينزل ، وقد علمنا أنه فعال لما يريد ، وأنه على كل شيء قدير .

ولهذا ترى خواص المؤمنين يتعرضون في هذا الوقت الجليل لللطاف ربهم ومواهبه ، فيقومون لعبوديته خاضعين خاشعين داعين متضرعين يرجون منه حصول مطالبهم التي وعدهم بها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ التَّائِبِ مِنْ أَخْذِكُمْ بِرَأْسِهِ» الْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

قوله (لله أشد فرحا الخ) تنمة هذا الحديث كما في البخارى وغيره « لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من رجل بأرض فلاة دويصة مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه فنزل عنها فنام وراحلته عند رأسه فاستيقظ وقد ذهبت ، فذهب في طلبها فلم يقدر عليها حتى أدركه الموت من العطش فقال والله لارجعن فلاموتن حيث كان رحلى فرجع فنام فاستيقظ فاذا راحلته عند رأسه فقال اللهم انت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح » .

وفى هذا الحديث اثبات صفة الفرح لله عز وجل والكلام فيه كالكلام فى غيره من الصفات انه صفة حقيقية لله عز وجل على ما يليق به ، وهو من صفات الفعل التابعة لمشيئته تعالى وقدرته ، فيحدث له هذا المعنى المعبر عنه بالفرح عندما يحدث عبده التوبة والانابة اليه وهو مستلزم لرضاه عن عبده التائب وقبوله توبته . واذا كان الفرح فى المخلوق على أنواع فقد يكون فرح خفة وسرور وطرب وقد يكون فرح اثبر وبطر ، فالله عز وجل منزّه عن ذلك كله ، ففرحه لا يشبه فرح احد من خلقه لا فى ذاته ولا فى أسبابه ولا فى غاياته ، فسببه كمال رحمته واحسانه التى يجب من عباده أن يتعرضوا لها ، وغايته اتمام نعمته على التائبين المنيبين .

وأما تفسير الفرح بلازمه وهو الرضى وتفسير الرضا بارادة الثواب ، فكل ذلك نفى وتعطيل لفرحه ورضاه سبحانه ، أوجبته سوء ظن هؤلاء المعطلة بربهم حيث توهموا ان هذه المعانى تكون فيه كما هى فى المخلوق — تعالى الله عن تشبيههم وتعطيلهم .

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ
كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَقَوْلُهُ « عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ خَيْرِهِ ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ
أَزْلَيْنِ قَتِيطَيْنِ فَيُظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ » حَدِيثٌ حَسَنٌ .

قوله (يضحك الله الى رجلين الخ) : يثبت اهل السنة والجماعة الضحك لله عز وجل كما افاده هذا الحديث وغيره على المعنى الذى يليق به سبحانه والذى لا يشبهه ضحك المخلوقين عندما يستخفهم الفرح أو يستفزهم الطرب ، بل هو معنى يحدث فى ذاته عند وجود مقتضيه ، وانما يحدث بمشيئته وحكمته ، فان الضحك انما ينشأ فى المخلوق عند ادراكه لامر عجيب يخرج عن نظائره ، وهذه الحالة المذكورة فى هذا الحديث ، كذلك فان تسليط الكافر على قتل المسلم مدعاة فى بادىء الراى لسخط الله على هذا الكافر وخذلانه ومعاقبته فى الدنيا والآخرة ، فاذا من الله على هذا الكافر بعد ذلك بالتوبة وهداه للدخول فى الاسلام وقاتل فى سبيل الله حتى يستشهد فيدخل الجنة كان ذلك من الامور العجيبة حقا .

وهذا من كمال رحمته واحسانه وسعة فضله على عباده سبحانه ، فان المسلم يقاتل فى سبيل الله ويقتله الكافر ، فيكرم الله المسلم بالشهادة ، ثم يمن على ذلك القاتل فيهديه للاسلام والاستشهاد فى سبيله فيدخل الجنة جميعا .

واما تاويل ضحكه سبحانه بالرضا او القبول او ان الشئ حل عنده بمحل ما يضحك منه ، وليس هناك فى الحقيقة ضحك فهو نفى لما اثبتته رسول الله صلى الله عليه وسلم لربه فلا يلتفت اليه .

قوله (عجب ربنا الخ) هذا الحديث يثبت لله عز وجل صفة العجب وفى معناه قوله عليه الصلاة والسلام « عجب ربك من شاب

ليس له صبرة » وقرا ابن مسعود رضى الله عنه « بل عجبستُ
ويسخرون » بضم التاء على أنها ضمير الرب جل شأنه .

وليس عجبه سبحانه ناشئا عن خفاء في الاسباب أو جهل
بحقائق الامور كما هو الحال في عجب المخلوقين بل هو معنى يحدث
له سبحانه على مقتضى مشيئته وحكمته وعند وجود مقتضيه ،
وهو الشيء الذى يستحق أن يتعجب منه .

وهذا المعجب الذى وصف به الرسول ربه هنا من آثار رحمته
وهو من كماله تعالى ، فاذا تأخر الفيث عن العباد مع فقرهم وشدة
حاجتهم واستولى عليهم اليأس والقنوط وصار نظرهم قاصرا على
الاسباب الظاهرة ، وحسبوا أن لا يكون وراءها فرج من القريب
المجيب فيعجب الله منهم .

وهذا محل عجب حقا اذ كيف يقنطون ورحمته وسعت كل شيء
والاسباب لحصولها قد توفرت ، فان حاجة العباد وضرورتهم من
اسباب رحمته ، وكذا الدعاء بحصول الفيث والرجاء في الله
من اسبابها وقد جرت عادته سبحانه في خلقه أن الفرج مع الكرب
وأن اليسر مع العسر وأن الشدة لا تدوم ، فاذا انضم الى ذلك
قوة التجاء وطمع في فضل الله ، وتضرع اليه ودعاء ، فتح الله
عليهم من خزائن رحمته ما لا يخطر على البال .

والقنوط مصدر قنط يقنط وهو اليأس من رحمة الله ، قال
تعالى (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) .

قوله : (وقرب خيره) أى فضله ورحمته وقد روى (غيره)
والغير اسم من قولك غير الشيء فتغير ، وفي حديث الاستسقاء « من
يكبر بالله يلق الغير » أى تغير الحال وانتقالها من الصلاح الى
الفساد .

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَهِيَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ » وَفِي رِوَايَةٍ « عَلَيْهَا قَدَمُهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَيَقُولُ قَطُّ قَطُّ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَقَوْلُهُ : « يَقُولُ تَعَالَى يَا آدَمُ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ فَيُنَادِي بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .
وَقَوْلُهُ « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ » .

قوله (أزلين قنطين) حالان من الضمير المجرور في اليكم ، وأزلين جميع أزل اسم فاعل من الأزل بمعنى الشدة والضيق ، يقال أزل الرجل يأزل أزالاً من باب فرح أى صار فى ضيق وجذب .

قوله (لا تزال جهنم النخ) فى هذا الحديث اثبات الرجل والقدم لله عز وجل ، وهذه الصفة تجرى مجرى بقية الصفات فنثبت لله على الوجه اللائق بعظمته سبحانه . والحكمة فى وضع رجله سبحانه فى النار أنه قد وعد أن يملأها كما فى قوله تعالى (لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) .

ولما كان مقتضى رحمته وعدله أن لا يعذب أحدا بغير ذنب ، وكانت النار فى غاية العمق والسعة ، حقق وعده تعالى فوضع فيها قدمه ، فحينئذ يتلاقى طرفاها ولا يبقى فيها فضل عن أهلها .

وأما الجنة فإنه يبقى فيها فضل عن أهلها مع كثرة ما أعطاهم وأوسع لهم فينشئ الله لها خلقا آخرين كما ثبت بذلك الحديث .

قوله (يقول تعالى يا آدم النخ) فى هذين الحديثين اثبات القول والنداء والتكليم لله عز وجل ، وقد سبق أن بينا مذهب أهل السنة والجماعة فى ذلك وأنهم يؤمنون بأن هذه صفات أفعال له سبحانه تابعة لمشيئته وحكمته ، فهو قال ويقول ، ونادى وينادى ، وكلّم

وَقَوْلُهُ فِي رَقِيَّةِ الْمَرِيضِ « رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ ،
 أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَمَا رَحِمْتُكَ فِي السَّمَاءِ ، اجْعَلْ رَحِمَتَكَ فِي
 الْأَرْضِ ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا ، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ أَنْزِلْ رَحْمَةً
 مِنْ رَحِمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ فَيَبْرَأَ » حَدِيثٌ حَسَنٌ
 رواه أبو داود وغيره — وَقَوْلُهُ « أَلَا تَأْمِنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ »
 حَدِيثٌ صَحِيحٌ .

ويتكلم ، وإن قوله ونداءه وتكليمه إنما يكون بحروف وأصوات
 يسمعها من يناديه ويكلّمه ، وفي هذا رد على الأشاعرة في قولهم
 أن كلامه قديم وأنه بلا حرف ولا صوت .

وقد دل الحديث الثاني على أنه سبحانه سيكلّم جميع عباده بلا
 واسطة ، وهذا تكليم عام ، لأنه تكليم محاسبة فهو يشمل المؤمن
 والكافر والبر والفاجر ، ولا ينافيه قوله تعالى (ولا يكلّمهم الله)
 لأن المنفى هنا هو التكليم بما يسر الكلم ، وهو تكليم خاص
 ويقابله تكليمه سبحانه لأهل الجنة تكليم محبة ورضوان وإحسان .

قوله (ربنا الله الذى فى السماء الخ) الحديث الاول صريح
 فى علوه تعالى وفوقيته فهو كقوله تعالى (أمنتّم من فى السماء)
 وقد سبق أن قلنا أن هذه النصوص ليس المراد منها أن السماء
 ظرف حاو له سبحانه ، بل (فى) أما أن تكون بمعنى على كما قاله
 كثير من أهل العلم واللغة .

و (فى) تكون بمعنى على فى مواضع كثيرة مثل قوله تعالى
 (لأصلبّنكم فى جذوع النخل) وأما أن يكون المراد من السماء جهة
 العلو ، وعلى الوجهين فهى نص فى علوه تعالى على خلقه .

وفى حديث الرقية المذكور توسل إلى الله عز وجل بالثناء عليه
 بربوبيته وإلهيته وتقديس اسمه وعلوه على خلقه وعموم أمره

وَقَوْلُهُ « وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ » حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ .

وَقَوْلُهُ لِلْجَارِيَةِ « أَيْنَ اللَّهُ ؟ قَالَتْ فِي السَّمَاءِ ، قَالَ مَنْ أَنَا ؟ قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ اعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

الشرعى وأمره القدرى ، ثم توسل إليه برحمته التى شملت أهل سمواته جميعا ان يجعل لاهل الارض نصيبا منها ، ثم توسل إليه بسؤال مغفرة الحوب وهو الذنب العظيم ، ثم الخطايا التى هى دونه ، ثم توسل إليه بربوبيته الخاصة للطيبين من عباده وهم الانبياء واتباعهم التى كان من آثارها أن غمرهم بنعم الدين والدنيا الظاهرة والباطنة .

فهذه الوسائل المتنوعة الى الله لا يكاد يرد دعاء من توسل بها ، ولهذا دعا الله بعدها بالشفاء الذى هو شفاء الله الذى لا يدع مرضا الا ازاله ولا تعلق فيه لغير الله .

فهل يفقه هذا عباد القبور من المتوسلين بالذوات والاشخاص والحق والجاه والحرمة ونحو ذلك .

واما الحديث الثانى فقد تضمن شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم بالايمان للجارية التى اعترفت بعلوه تعالى على خلقه ، فدل ذلك على أن وصف الطو من أعظم اوصاف البارى جل شأنه حيث خصه بالسؤال عنه دون بقية الاوصاف ، ودل أيضا على أن الايمان بعلوه المطلق من كل وجه هو من أعظم اصول الايمان ، فمن أنكره فقد حرم الايمان الصحيح .

والمعجب من هؤلاء الحمقى من المعطلة النفاء زعمهم أنهم أعلم بالله من رسوله ، فينفون عنه الاين بعدما وقع هذا اللفظ بعينه من الرسول مرة سائلا غيره ، كما فى هذا الحديث « ومرة مجيبا

وَقَوْلُهُ « أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ »
 حَدِيثٌ حَسَنٌ — وَقَوْلُهُ « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا يَبْصُتَنَّ
 قَبْلَ وَجْهِهِ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ
 أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

لَمَنْ سَأَلَهُ بِقَوْلِهِ آيِن كَانَ رَبُّنَا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ (وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ الْخ) فَفِيهِ الْجَمْعُ بَيْنَ الْإِيمَانِ
 بِعُلُوِّهِ تَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ وَبِاحْاطَةِ عِلْمِهِ بِالْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا ، فَسُبْحَانَ
 مَنْ هُوَ عَالٍ فِي دَنُوهِ ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ .

قَوْلُهُ (أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ الْخ) دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَ الْإِيمَانِ
 هُوَ مَقَامُ الْإِحْسَانِ وَالْمُرَاقَبَةِ ، وَهُوَ أَنْ يَعْبُدَ الْعَبْدُ رَبَّهُ كَأَنَّهُ يَسْرَاهُ
 وَيَشَاهِدُهُ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ ، فَلَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يَفْعَلُ
 وَلَا يَخُوضُ فِي أَمْرِ مَا إِلَّا وَاللَّهُ رَقِيبٌ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ ، قَالَ تَعَالَى
 (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ
 إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) .

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْمَعْيَةَ إِذَا اسْتَحْضَرَهَا الْعَبْدُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ فَاتَهُ
 يَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرَاهُ حَيْثُ نَهَاهُ أَوْ أَنْ يَفْتَقِدَهُ حَيْثُ
 أَمَرَهُ فَتَكُونُ عَوْنًا لَهُ عَلَى اجْتِنَابِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَالْمَسَارَعَةِ إِلَى فِعْلِ
 مَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، وَلَا سِيَّما
 إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ صَلَاةٍ وَمُنَاجَاةٍ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ ،
 فَيَخْشَعُ قَلْبُهُ وَيَسْتَحْضِرُ عِظَمَ اللَّهِ وَجَلَالَهُ ، فَتَقِلُّ حَرَكَاتُهُ وَلَا يَسِيءُ
 الْأَدَبُ مَعَ رَبِّهِ بِالْبَصْقِ أَمَامَهُ أَوْ عَنْ يَمِينِهِ .

قَوْلُهُ (إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ الْخ) دَلَّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عِزَّ وَجَلَّ
 يَكُونُ قَبْلَ وَجْهِ الْمُصَلِّي .

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي الْعَقِيدَةِ الْحَمَوِيَّةِ : أَنَّ الْحَدِيثَ حَقٌّ عَلَى

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ
وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى ، مُنْزِلَ
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ
أَنْتَ آخِذٌ بِمَصَاتِئِهَا ، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ
بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ
دُونَكَ شَيْءٌ ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ » رِوَايَةُ مُسْلِمٍ .

قَوْلُهُ (اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ الْخ) تَضَمَّنَ الْحَدِيثُ إِثْبَاتَ أَسْمَائِهِ
وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَفَعَ الصَّحَابَةُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ :
« أَيُّهَا النَّاسُ ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا . إِنَّمَا
تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا ، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيْ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ
رَأْسِهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

ظَاهِرُهُ وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ ، وَهُوَ قَبْلَ وَجْهِ الْمُصَلِّي ، بَلْ
هَذَا الْوَصْفُ يَثْبِتُ لِلْمَخْلُوقِ ، هُنَا الْإِنْسَانُ لَوْ أَنَّهُ يَنَاجِي السَّمَاءَ أَوْ
يَنَاجِي الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَكَانَتِ السَّمَاءُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فَوْقَهُ ،
وَكَانَتِ أَيْضًا قَبْلَ وَجْهِهِ .

قَوْلُهُ (اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ ... الْخ) تَضَمَّنَ الْحَدِيثُ إِثْبَاتَ أَسْمَائِهِ
تَعَالَى الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ، وَهِيَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى ،
وَقَدْ فُسِّرَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا لَا يَدْعُ مَجَالًا لِقَائِلٍ ، فَهُوَ
أَعْلَمُ الْخَلْقِ جَمِيعًا بِأَسْمَاءِ رَبِّهِ وَبِالْمَعَانِي الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا ، فَلَا يَصِحُّ أَنْ
يَلْتَفِتَ إِلَى قَوْلٍ غَيْرِهِ أَيَا كَانَ .

وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضًا يَعْلَمُنَا نَبِينَا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
كَيْفَ نَتَنَّى عَلَى رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ السُّؤَالِ ، فَهُوَ يَتَنَّى عَلَيْهِ بِرَبُّوبِيَّتِهِ
الْعَامَّةِ الَّتِي انْتَضَمَتْ كُلُّ شَيْءٍ ، ثُمَّ بِرَبُّوبِيَّتِهِ الْخَاصَّةِ الْمُمَثَّلَةِ فِي أَنْزَالِهِ
هَذِهِ الْكُتُبِ الثَّلَاثَةَ تَحْمِلُ الْهُدَى وَالنُّورَ إِلَى عِبَادِهِ ، ثُمَّ يَعُوذُ وَيَعْتَصِمُ
بِهِ سُبْحَانَهُ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ مِنْ خَلْقِهِ ، ثُمَّ

« إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبُّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تَضَامُونَ فِي رُؤَيْتِهِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى الصَّلَاةِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

يسأله في آخر الحديث أن يقضى عنه دينه وأن يغنيه من فقر . قوله (أيها الناس اربعوا على أنفسكم ... الخ) أفاد هذا الحديث قرب سبحانه من عباده ، وأنه ليس بحاجة الى أن يرفعوا اليه أصواتهم فانه يعلم السر والنجوى ، وهذا القرب المذكور في الحديث قرب احاطة وعلم وسمع ورؤية فلا ينافي علوه على خلقه .

هذا الحديث الصحيح المنواتر يشهد لما دلت عليه الآيات السابقة من رؤية المؤمنين لله عز وجل في الجنة وتمتعهم بالنظر الى وجهه الكريم ، وهذه النصوص من الآيات والاحاديث تدل على أمرين : أولهما : علوه تعالى عن خلقه لانها صريحة في أنهم يرونه من فوقهم . ثانيهما : ان أعظم انواع النعيم هو النظر الى وجه الله الكريم .

وقوله (كما ترون القمر ليلة البدر) المراد تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئى بالمرئى ، يعنى أن رؤيتهم لربهم تكون من الظهور والوضوح كرؤية القمر في أكمل حالاته ، وهى كونه بدرا ولا يحجبه سحاب ، ولهذا قال بعد ذلك (لا تضامون في رؤيته) روى بتشديد الميم من التضام بمعنى التزاحم والتلاصق ، والتاء يجوز فيها الضم والفتح ، على أن الاصل تضامون فحذفت احدى التائين تخفيفا ، وروى بتخفيف الميم من الضيم بمعنى الظلم ، يعنى لا يلحقكم في رؤيته ضيم ولا غبن .

وفي حثه صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على صلاة العصر وصلاة الفجر خاصة اشارة الى أن من حافظ عليهما في جماعة نال هذا النعيم الكامل الذى يضمحل بازائه كل نعيم ، وهو يدل على تأكيد هاتين

« إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ ، فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ ، بَلْ هُمْ الْوَسْطُ فِي فَرْقِ الْأُمَّةِ ، كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسْطُ فِي الْأُمَمِ . »

الصلاتين كما دل على ذلك الحديث الآخر « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر » متفق عليه .

قوله (إلى أمثال هذه الأحاديث الخ) لما كان ما ذكره المؤلف من الأحاديث ليس هو كل ما ورد في باب الصفات من الأخبار ، نبه على أن أمثال هذه الأحاديث التي ذكرها مما يخبر فيه الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه بما يخبر به ، فإن حكمه كذلك وهو وجوب الإيمان بما يتضمنه من أسماء الله وصفاته ، ثم عاد فأكد معتقد أهل السنة والجماعة ، وهو أنهم يؤمنون بما وردت به السنة الصحيحة من صفات كإيمانهم بما أخبر الله في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل .

ثم أخبر عن أهل السنة والجماعة بأنهم وسط بين الأمم السابقة قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) ومعنى وسطا عدولا خيارا كما ورد الحديث بذلك .

فهذه الأمة وسط بين الأمم التي تنجح إلى الغلو الضار والأمم التي تميل إلى التفريط المهلك ، فإن من الأمم من غلا في المخلوقين وجعل لهم من صفات الخالق وحقوقه ما جعل ، كالنصارى الذين غلوا في المسيح والرهبان . ومنهم من جفا الاتبياء واتباعهم حتى قتلهم

« فَهْمٌ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ
الْجَهْمِيَّةِ وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبَّهَةِ » .

ورد دعوتهم كاليهود الذين قتلوا زكريا ويحي وحاولوا قتل المسيح
ورموه بالبهتان ، وأما هذه الامة فقد آمنت بكل رسول أرسله الله
واعتمدت رسالتهم وعرفت لهم مقاماتهم الرفيعة التي فضلهم الله بها .
ومن الامم ايضا من استحلّت كل خبيث وطيب ، ومنها من حرم
الطيبات غلوا ومجاوزة . وأما هذه الامة فقد أحل الله لها الطيبات
وحرم عليها الخبائث ، الى غير ذلك من الامور التي من الله على هذه
الامة الكاملة بالتوسط فيها .

نكذلك اهل السنة والجماعة متوسطون بين فرق الامة المبتدعة
التي انحرفت عن الصراط المستقيم .

قوله (فهم وسط في باب صفات الله الخ) يعنى ان اهل السنة
والجماعة وسط في باب الصفات بين من ينفيها ويعطل الذات العلية عنها
ويحرف ما ورد فيها من الآيات والاحاديث عن معانيها الصحيحة
الى ما يعتقده هو من معان بلا دليل صحيح ولا عقل صريح ، كقولهم
رحمة الله ارادته الاحسان ، ويده قدرته ، وعينه حفظه ورعايته ،
واستواؤه على العرش استيلاؤه ، الى امثال ذلك من انواع النفسى
والتعطيل التي اوقعهم فيها سوء ظنهم بربهم وتوهمهم ان قيام هذه
الصفات به لا يعقل الا على النحو الموجود في قيامها بالمخلوق .

ولقد احسن القائل حيث يقول :

وَقُصَارَى أَمْرِ مَنْ أَوْ لَّ أَنْ ظَنُّوا الظُّنُونَا
فَيَقُولُونَ عَلَى الرَّحْمَنِ مَا لَا يَعْلَمُونَ

وانما سمي اهل التعطيل جهمية نسبة الى الجهم بن صفوان

« وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَعْمَالِ اللَّهِ بَيْنَ الْجَبَرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ »

الترمذى رأس الفتنة والضلال وقد توسع في هذا اللفظ حتى أصبح يطلق على كل من نفى شيئا من الاسماء والصفات ، فهو شامل لجميع فرق النفاة من فلاسفة ومعتزلة واشعرية وقرامطة باطنية .

فأهل السنة والجماعة وسط بين هؤلاء الجهمية النفاة وبين أهل التمثيل المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه ومثله بعباده ، وقد رد الله على الطائفتين بقوله (ليس كمثله شيء) فهذا يرد على المشبهة ، وقوله (وهو السميع البصير) يرد على المعطلة .

وأما أهل الحق فهم الذين يثبتون الصفات لله تعالى اثباتا بلا تمثيل ، وينزهونه عن مشابهة المخلوقات تنزيها بلا تعطيل ، فجمعوا أحسن ما عند الفريقين ، أعنى التنزيه والاثبات ، وتركوا ما أخطأوا وأساعوا فيه من التعطيل والتشبيه .

قوله (وهم وسط الخ) قال الشيخ العلامة محمد بن عبد العزيز ابن مانع في تعليقه على هذه العبارة ما نصه :

أعلم أن الناس اختلفوا في أعمال العباد هل هي مقدورة للرب أم لا ؟ فقال جهم وأتباعه وهم الجبرية : أن ذلك الفعل مقدور للرب لا للعبد وكذلك قال الأشعرى وأتباعه أن المؤثر في المقدور قدرة الرب دون قدرة العبد . وقال جمهور المعتزلة وهم القدرية ، أى نفاة القدر : أن الرب لا يقدر على عين مقدور العبد . واختلفوا هل يقدر على مثل مقدوره ، فأثبتته البصريون كآبى على وآبى هاشم ، ونفاه الكمبي وأتباعه البغداديون .

وقال أهل الحق : أعمال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة وهى مخلوقة لله تعالى ، والحق سبحانه منفرد بخلق المخلوقات لا خالق لها سواه ، فالجبرية غلوا في اثبات القدر فنفوا فعل العبد أصلا .

« وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللَّهِ بَيْنَ الْمُرْجَةِ وَالْوَعِيدَةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ »
 « وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الْإِيمَانِ وَالَّذِينَ بَيْنَ الْحُرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزَلَةِ وَبَيْنَ الْمُرْجَةِ
 وَالْجَهْمِيَّةِ »

والمعتزلة نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله ولهذا كانوا مجوس هذه الامة . وهدى الله المؤمنين اهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق باذنه . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ، فقالوا العباد فاعلون والله خالقهم وخالق أعمالهم كما قال تعالى (والله خلقكم وما تعملون) وانما نقلنا هذه العبارة بنصها لانها تلخيص جيد لمذاهب المتكلمين في القدر وأعمال العباد .

قوله (وفي باب وعيد الله الخ) يعنى أن اهل السنة والجماعة وسط في باب الوعيد بين المفرطين من المرجئة الذين قالوا لا يضر مع الايمان ذنب كما لا تنفع مع الكفر طاعة . وزعموا أن الايمان مجرد التصديق بالقلب وان لم ينطق به . وسموا بذلك نسبة الى الارزاء ، أى التأخير لانهم أخرؤا الاعمال عن الايمان .

ولا شك أن الارزاء بهذا المعنى كفر يخرج صاحبه عن الملة ، فانه لا بد في الايمان من قول باللسان ، واعتقاد بالجنان ، وعمل بالاركان ، فاذا اختلف واحد منها لم يكن الرجل مؤمنا .

واما الارزاء الذى نسب الى بعض الائمة من اهل الكوفة كابى حنيفة وغيره ، وهو قولهم ان الاعمال ليست من الايمان ، ولكنهم مع ذلك يوافقون اهل السنة على أن الله يعذب من يعذب من اهل الكبائر بالنار ، ثم يخرجهم منها بالشفاعة وغيرها ، وعلى انه لا بد في الايمان من نطق باللسان ، وعلى أن الاعمال المفروضة واجبة يستحق تركها الذم والعقاب ، فهذا النوع من الارزاء ليس ككرا وان كان قولا باطلا مبتدعا لاخراجهم الاعمال عن الايمان .

وأما الوعيدية فهم القائلون بأن الله يجب عليه عقلا أن يعذب
العاصى كما يجب عليه أن يثيب المطيع ، فمن مات على كبيرة ولم
يتب منها لا يجوز عندهم أن يغفر الله له ، ومذهبهم باطل مخالف
للكتاب والسنة ، قال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء) وقد استفاضت الأحاديث في خروج عصاة
الموحدين من النار ودخولهم الجنة .

فمذهب أهل السنة والجماعة وسط بين نفاة الوعيد من المرجئة
وبين موجبيه من القدرية ، فمن مات على كبيرة عندهم فأمره
منفوض الى الله ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه كما دلت عليه الآية
السابقة . وإذا عاقبه بها فإنه لا يخلد خلود الكفار بل يخرج من النار
ويدخل الجنة .

قوله (وفي باب أسماء الايمان الخ) كانت مسألة الاسماء والاحكام
من أول ما وقع فيه النزاع في الاسلام بين الطوائف المختلفة وكان
للأحداث السياسية والحروب التي جرت بين على ومعاوية رضى الله
عنهما في ذلك الحين وما ترتب عليها من ظهور الخوارج والرافضة
والقدرية أثر كبير في ذلك النزاع والمراد بالاسماء هنا أسماء الدين
مثل مؤمن ومسلم وكافر وفاسق الخ ، والمراد بالاحكام أحكام
أصحابها في الدنيا والآخرة .

فالخوارج الحرورية والمعتزلة ذهبوا الى أنه لا يستحق اسم
الايمان الا من صدق بجنانه وأقر بلسانه وقام بجميع الواجبات
 واجتنب جميع الكبائر ، فمرتكب الكبيرة عندهم لا يسمى مؤمنا
 باتفاق بين الفريقين ، ولكنهم اختلفوا هل يسمى كافرا أو لا . فالخوارج
يسمونه كافرا ويستحلون دمه وماله ، ولهذا كفروا عليا ومعاوية
 وأصحابهما واستحلوا منهم ما يستحلون من الكفار .

« وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الرَّافِضَةِ وَالْخَوَارِجِ »

وأما المعتزلة فقالوا ان مرتكب الكبيرة خرج من الايمان ولم يدخل في الكفر فهو بمنزلة بين المنزلتين ، وهذا أحد الاصول التي قام عليها مذهب الاعتزال .

واتفق الفريقان أيضا على ان من مات على كبيرة ولم يتب منها فهو مخلد في النار ، فوقع الاتفاق بينهما في أمرين :

١ — نفى الايمان عن مرتكب الكبيرة .

٢ — خلوده في النار مع الكفار . ووقع الخلاف أيضا في موضعين أحدهما تسميته كافرا والثاني استحلال دمه وماله وهو الحكم الدنيوي .
وأما المرجئة فقد سبق بيان مذهبهم ، وهو انه لا يضر مع الايمان معصية ، فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن كامل الايمان ولا يستحق دخول النار .

فمذهب أهل السنة والجماعة وسط بين هذين المذهبين فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن ناقص الايمان ، قد نقص من ايمانه بقدر ما ارتكب من معصية فلا ينفون عنه الايمان أصلا كالخوارج والمعتزلة ولا يقولون بأنه كامل الايمان كالمرجئة الجهمية ، وحكمه في الآخرة عندهم انه قد يعمو الله عز وجل عنه فيدخل الجنة ابتداء أو يعذبه بقدر معصيته ثم يخرج به ويدخله الجنة كما سبق ، وهذا الحكم أيضا وسط بين من يقول بخلوده في النار وبين من يقول انه لا يستحق على المعصية عقابا .

قوله (وفي أصحاب رسول الله الخ) المعروف ان الرافضة قبحهم الله يسبون الصحابة رضي الله عنهم ويلعنونهم وربما كفروهم أو كفروا بعضهم والغالبية منهم مع سبهم لكثير من الصحابة والخلفاء يغلون في على وأولاده ويعتقدون فيهم الالهية ، وقد ظهر هؤلاء في حياة على رضي الله عنه بزعامه عبد الله بن سبأ الذي كان يهوديا وأسلم وأراد أن يكيد

(فَصْلٌ)

وَقَدْ دَخَلَ فِيْمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ
فِي كِتَابِهِ وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ
فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَاطِنٌ عَلَى خَلْقِهِ ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا
كَانُوا يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ : (هُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ
فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ
مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) .

للاسلام واهله كما كاد اليهود من قبل للنصرانية وافسدوها على اهلها ،
وقد حرقهم على النار لاطفاء فتنتهم ، وروى عنه في ذلك قوله :

لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا أَجَجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قُبْرًا

واما الخوارج فقد قابلوا هؤلاء الروافض فكفروا عليا ومعاوية
ومن معهما من الصحابة وقتلوهم واستحلوا دماءهم وأموالهم .

واما اهل السنة والجماعة فكانوا وسطا بين غلو هؤلاء وتقصير
اولئك وهداهم الله الى الاعتراف بفضل اصحاب نبيهم وانهم اكمل
هذه الامة ايمانا واسلاما وعلماء وحكمة ، ولكنهم لم يغفلوا فيهم ولم
يعتقدوا عصمتهم ، بل قاموا بحقوقهم واحبواهم لعظيم سابقتهم
وحسن بلائهم في نصره الاسلام وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم .

قوله (وقد دخل فيما ذكرناه من الايمان الخ) صرح المؤلف هنا
بمسألة علو الله تعالى واستوائه على عرشه باثنا من خلقه كما اخبر
الله عن ذلك في كتابه وكما تواتر الخبر بذلك عن رسوله وكما اجمع
عليه سلف الامة الذين هم اكملها علما وايمانا ، مؤكدا بذلك ما سبق
ان ذكره في هذا الصدد ومشددا النكير على من انكر ذلك من الجهمية

وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ « وَهُوَ مَعَكُمْ » أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ فَإِنَّ هَذَا لَا نُوجِّهُهُ
اللُّغَةَ ، بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ
فِي السَّمَاءِ ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ .

وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ مُهِمِّنٌ عَلَيْهِمْ مُطَّلِعٌ
عَلَيْهِمْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ ، وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي
ذَكَرَهُ اللَّهُ — مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا — حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ
لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ مِثْلَ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ
ظَاهِرَ قَوْلِهِ (فِي السَّمَاءِ) أَنَّ السَّمَاءَ نُظْلُهُ أَوْ ثِقْلُهُ ، وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ
أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَنِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَهُوَ يَمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ، وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقْشَعَ
عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ .

والمعتزلة ومن تبعهم من الاشاعرة . ثم بين ان اسنواءه على عرشه
لا ينافي معيته وقربه من خلقه ، فان المعية ليس مقتاها الاختلاط
والمجاورة الحسية ، وضرب لذلك مثلا بالقمر الذي هو موضوع في
السماء وهو مع المسافر وغيره أينما كان بظهوره واتصال نوره فاذا
جاز هذا بالنسبة للقمر وهو من اصغر مخلوقات الله أفلا يجوز بالنسبة
الى اللطيف الخبير الذي احاط بعباده علما وقدرة والذي هو شهيد
مطلع عليهم يسمعهم ويراهم ويعلم سرهم ونجواهم ، بل العالم كله
سمواته وأرضه من العرش الى الفرش كله بين يديه سبحانه كأنه
بندقة في يد أحدنا ، أفلا يجوز لمن هذا شأنه أن يقال انه مع خلقه
مع كونه عاليا عليهم بائنا منهم فوق عرشه ؟ بلى يجب الايمان بكل
من علوه تعالى ومعيته ، واعتقاد أن ذلك كله حق على حقيقته من
غير أن يساء فهم ذلك او يحمل على معان فاسدة كأن يفهم من قوله
(وهو معكم) معية الاختلاط والامتزاج كما يزعمه الحلولية ، أو يفهم
من قوله (في السماء) أن السماء ظرف حاو له محيطة به . كيف

(فَضْلٌ)

وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ) الْآيَةُ — وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ الَّذِي تَدْعُوهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ » وَمَا ذَكَرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَحَبَّتِهِ ، لَا يُنَافِي مَا ذَكَرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نَعْوَتِهِ ، وَهُوَ عَالٍ فِي دُنُوِّهِ قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ .

وَمِنْ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَكُتِبَ الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ مُنْزَلٌ غَيْرَ مَخْلُوقٍ ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً ، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً لَا كَلَامُ غَيْرِهِ .

وقد وسع كرسيه السموات والارض جميعا ؟ وهو الذي يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ، فسبحان من لا يبلغه وهم الواهمين ولا تدركه افهام العالمين .

قوله (وقد دخل في ذلك الايمان الخ) يجب الايمان بما وصف الله به نفسه من أنه قريب مجيب ، فهو سبحانه قريب ممن يدعوه ويناجيه ، يسمع دعاءه ونجواه ويجيب دعاءه متى شاء وكيف شاء فهو تعالى قريب قرب العلم والاحاطة كما قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) .

وبهذا يتبين أنه لا منافاة أصلا بين ما ذكر في الكتاب والسنة من قربته تعالى ومحبيته وبين ما فيها من علوه تعالى وفوقيته ، فهذه كلها نعوت له على ما يليق به سبحانه ليس كمثله شيء في شيء منها .

قوله (ومن الايمان بالله وكتبه الخ) جعل المصنف الايمان بان القرآن كلام الله داخلا في الايمان بالله لانه صفة من صفاته ،

وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ أَوْ عِبَارَةٌ بَلْ إِذَا قَرَأَهُ
النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى
حَقِيقَةً ، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا لَا إِلَى مَنْ
قَالَهُ مُبْلَغًا مُؤَدِّيًا ، وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ حُرُوفُهُ وَمَعَانِيهِ ، لَيْسَ كَلَامُ اللَّهِ
الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي وَلَا الْمَعَانِي دُونَ الْحُرُوفِ ؟

فلا يتم الايمان به سبحانه الا بها ، اذ الكلام لا يكون الا صفة للمتكلم
والله سبحانه موصوف بأنه متكلم بما شاء متى شاء ، وانه لم يزل
ولا يزال يتكلم بمعنى أن نوع كلامه قديم وان كانت آحاده لا تزال تقع
شيئا بعد شيء بحسب حكمته .

وقد قلنا فيما سبق أن الاضافة في قولنا « القرآن كلام الله » هي
من اضافة الصفة للموصوف فتفيد أن القرآن صفة الرب سبحانه وانه
تكلم به حقيقة بالفاظه ومعانيه بصوت نفسه فمن زعم أن القرآن مخلوق
من المعتزلة فقد أعظم الفردية على الله ونفى كلام الله عن الله وصفا
وجعله وصفا لمخلوق وكان أيضا متجنيا على اللغة فليس فيها متكلم
بمعنى خالق للكلام . ومن زعم أن القرآن الموجود بيننا حكاية عن كلام
الله كما تقوله الكلابية أو أنه عبارة عنه كما تقوله الاشعرية ، فقد
قال بنصف قول المعتزلة حيث فرق بين الالفاظ والمعاني ، فجعل
الالفاظ مخلوقة والمعاني عبارة عن الصفة القديمة ، كما أنه ضاهى
النصارى في قولهم بحلول اللاهوت وهو الكلمة في الناسوت وهو
جسد عيسى عليه السلام ، اذ قال بحلول المعاني التي هي الصفة
القديمة في هذه الالفاظ المخلوقة ، فجعل الالفاظ ناسوتا لها .

والقرآن كلام الله حيث تصرف ، فمهما كتبناه في المصاحف أو
تلوناه بالالسنه لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله ، لان الكلام كما
قال المصنف انما يضاف الى من قاله مبتدئا لا الى من قاله مبلغا

وَقَدْ دَخَلَ أَيْضاً فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلَائِكَتِهِ
وَبِرُسُلِهِ ، الْإِيمَانُ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَيْنَانِ بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا
يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْواً لَيْسَ بِهَا سَحَابٌ ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةً الْبَدْرُ
لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ ، يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ
يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ تَعَالَى .

مؤديا .

وأما معنى قول السلف (منه بدأ واليه يعود) فهو من البدء
يعنى ان الله هو الذى تكلم به ابتداء لم يبتدا من غيره ، ويحتمل
ان يكون من البدء بمعنى الظهور ، يعنى انه هو الذى تكلم به وظهر
منه لم يظهر من غيره ، ومعنى اليه يعود اى يرجع اليه وصفا ،
لانه وصفه القائم به ، وقيل معناه يعود اليه فى آخر الزمان حين
يرفع من المصاحف والصدور ، كما ورد فى اشراط الساعة .

وأما كون الايمان بأن القرآن كلام الله داخلا فى الايمان بالكتب
فان الايمان بها ايمانا صحيحا يقتضى ايمان العبد بأن الله تكلم بها
بالفاظها ومعانيها ، وانها جميعا كلامه هو لا كلام غيره ، فهو
الذى تكلم بالتوراة بالبرانية ، وبالانجيل بالسريانية ، وبالقرآن بلسان
عربى مبين .

قوله (وقد دخل ايضا فيما ذكرناه الخ) تقدم الكلام على رؤية
المؤمنين لربهم عز وجل فى الجنة كما دلت على ذلك الآيات والاحاديث
الصريحة ، فلا حاجة بنا الى اعادة الكلام فيها .

غير أن قوله يرونه سبحانه وهم فى عرصات القيامة قد يوهم
أن هذه الرؤية ايضا خاصة بالمؤمنين ولكن الحق انها عامة لجميع

(فَضْلٌ)

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ . فَأَمَّا الْفِتْنَةُ فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ ، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ : مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟ فَيُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ رَبِّي اللَّهُ ، وَالْإِسْلَامُ دِينِي وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيِّي . وَأَمَّا الْمُرْتَابُ فَيَقُولُ هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئاً فَقُلْتُهُ ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ — ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى فَتُعَادُ الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَجْسَادِ .

أهل الموقف حين يجيء الرب لفصل القضاء بينهم كما يدل عليه قوله تعالى « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام » الآية .

والعرصات جمع عرصة وهي كل موضع واسع لا بناء فيه .

قوله (ومن الإيمان باليوم الآخر الخ) إذا كان الإيمان باليوم الآخر أحد الأركان الستة التي يقوم عليها الإيمان فإن الإيمان به إيماناً تاماً كاملاً لا يتحقق إلا إذا آمن العبد بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من أمور الغيب التي تكون بعد الموت والضابط في ذلك أنها أمور محكمة أخبر بها الصادق صلوات الله عليه وسلامه وآله وكل ممكن أخبر به الصادق يجب الإيمان بوقوعه كما أخبر ، فإن هذه الأمور لا تستفاد إلا من خبر الرسول — فأهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كله .

وأما أهل المروق والالحاد من الفلاسفة والمعتزلة فينكرون هذه الأمور من سؤال القبر ومن نعيم القبر وعذابه والصراط والميزان

وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ ، فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا وَتَدْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ ، فَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ .

وغير ذلك بدعوى أنها لم تثبت بالعقل ، والعقل عندهم هو الحاكم الأول الذى لا يجوز الايمان بشيء الا عن طريقه ، وهم يردون الاحاديث الواردة فى هذه الامور بدعوى أنها احاديث آحاد لا تقبل فى سبب الاعتقاد واما الايات فيأولونها مما يصرفها عن معانيها . والاضافة فى قوله (بفتنة القبر) على معنى (فى) أى بالفتنة التى تكون فى القبر وأصل الفتنة وضع الذهب ونحوه على النار لتخليصه من الاوضار والعناصر الغريبة ، ثم استعملت فى الاخبار والامتحان . واما عذاب القبر ونعيمه فيدل عليه قوله تعالى فى حق آل فرعون (النار يهرضون عليها غدوا وعشيا) وقوله سبحانه عن قوم نوح (مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « القبر اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار » .

والمِرْزَبَةُ بالتخفيف المطرقة الكبيرة ، ويقال لها ايضا إِرْزَبَةُ بالهمزة والتشديد .

قوله (وتقوم القيامة الخ) يعنى القيامة الكبرى وهذا الوصف للتخصص احرز به عن القيامة الصغرى التى تكون عند الموت كما فى الخبر « من مات فقد قامت قيامته » وذلك ان الله عز وجل اذا اذن بانقضاء هذه الدنيا امر اسرافيل عليه السلام ان ينفخ فى الصور النفخة الاولى فيصعق كل من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ، وتصبح الارض صعيدا جزا ، والجبال كثيبا مهيلا ،

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ . وَتُنَشَّرُ الدُّوَاوِينُ ، وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ — فَأَخِذْ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَأَخِذْ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (وَكُلُّ نَاسٍ لِرَبِّهِمْ أَتَانٌ) فِي هُنْتِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ، اقْرَأْ كِتَابَكَ كَتَبَتْ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) .

ويحدث كل ما أخبر الله به في كتابه لاسيما في سورتي التکویر والافتطار ، وهذا هو آخر أيام الدنيا ، ثم يأمر الله السماء فتطمر مطرا كنى الرجال أربعين يوما فينبت منه الناس في قبورهم ممن عجب انسابهم وكل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب حتى اذا تم خلقهم وتركيبهم أمر الله اسرافيل بان ينفخ في الصور النفخة الثانية فيقوم الناس من الاجداث احياء فيقول الكفار والمنافقون حينئذ (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) ويقول المؤمنون (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) (١) ثم تحشرهم الملائكة الى الموقف حفاة غير منتعلين عراة غير مكتسبين غرلا غير مختننين جمع أغرل وهو الاقلف ، والغرلة القلفة ، وأول من يكتسى يوم القيامة ابراهيم كما في الحديث . وهناك في الموقف تدنو الشمس من رؤوس الخلائق ويلجمهم العرق ، فمنهم من يبلغ كعبيه ، ومنهم من يبلغ ركبته ، ومنهم من يبلغ ثدييه ومنهم من يبلغ ترقوته كل على قدر عمله ، ويكون أناس في ظل الله عز وجل ، فاذا اشتد بهم الامر وعظم الكرب استشفعوا الى الله عز وجل بالرسول والانبياء أن ينقذهم مما هم فيه ، وكل رسول يحيلهم على من بعده حتى يأتوا نبينا صلى الله عليه وسلم فيقول : انا لها ويشفع فيهم فينصرفون الى فصل القضاء وهناك تنصب الموازين فتوزن بها أعمال العباد وهي

(١) ويؤيد ذلك قوله تعالى « وقال الذين أوتوا العلم والايمان » الآية.

وَيَحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ فَيَقَرُّهُ بِذُنُوبِهِ ، كَمَا

موازين حقيقية كل ميزان منها له لسان وكفتان ويقلب الله أعمال العباد (وهى أعراض) أجساما لها ثقل فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة كما قال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) .

ثم تنشر الدواوين وهى صحائف الأعمال فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا ، وأما من أوتى كتابه بشماله أو من وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا ويقول يا ليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه .

قال تعالى (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يفادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا) .

وأما قوله تعالى (وكل انسان الزمناه طائره في عنقه) فقد قال الراغب أى عمله الذى طار عنه من خير وشر ولكن الظاهر أن المراد بالطائر هنا نصيبه في هذه الدنيا وما كتب له فيها من رزق وعمل كما في قوله تعالى (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) يعنى ما كتب عليهم فيه .

قوله (ويحاسب الله الخلائق الخ) المراد بتلك المحاسبة تذكيرهم وانباؤهم بما قدموه من خير وشر أحصاه الله ونسوه قال تعالى : ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون . وفي الحديث الصحيح « من نوقش الحساب عذب » فقالت عائشة رضى الله عنها : يا رسول الله أو ليس الله يقول - (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) ؟ فقال : إنما ذلك العرض ، ولكن من نوقش الحساب يهلك .

وأما قوله (ويخلو بعبده المؤمن) فقد ورد عن ابن عمر رضى

وَصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالْمُسْنَدِ ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ فَلَا يُحَاسِبُونَ مُحَاسَبَةَ
مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ فَإِنَّهُ لَا حَسَنَاتٍ لَهُمْ وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ
فَتُحْصَى فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيَقْرَرُونَ بِهَا .

وَفِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ الْحَوْضُ الْمُرْوَدُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِائَةٌ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الصَّلَى ، آتِيَتْهُ عِدَّةُ نَجُومِ السَّمَاءِ
طُولُهُ شَهْرٌ وَعَرْضُهُ شَهْرٌ ، مَنْ يَشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَداً .

الله عنهما أن الله عز وجل يدنى منه عبده المؤمن فيضع عليه كنفه
ويحاسبه فيما بينه وبينه ويقرره بذنوبه ، فيقول : ألم تفعل كذا
يوم كذا ، ألم تفعل كذا يوم كذا حتى إذا قرره بذنوبه وأيقن أنه
قد هلك قال له : سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم .

وأما قوله (فإنه لا حسنات لهم) يعنى الكفار لقوله تعالى
(وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) وقوله (مثل
الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف
لا يقدرُونَ ما كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ) والصحيح أعمال الخير التي يعملها
الكافر يجازى بها في الدنيا فقط حتى إذا جاء يوم القيامة وجد صحيفة
حسناته بيضاء وقيل يخفف بها عنه من عذاب غير الكفر .

وأما قوله (في عرصات القيامة) فإن الأحاديث الواردة في ذكر
الحوض تبلغ حد التواتر رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيا
فمن أنكره فأخلق به أن يحال بينه وبين وردوه يوم العرش الأكبر
وقد ورد في أحاديث : أن لكل نبي حوضا ولكن حوض نبينا صلى
الله عليه وسلم أعظمها وأحلاها وأكثرها واردا جعلنا الله منهم بفضله
وكرمته .

وَالصَّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ
وَالنَّارِ يَمُرُّ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَأَمَحِ الْبَصْرِ ، وَمِنْهُمْ
مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّيحِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ
الْجَوَادِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرَكَابِ الْإِبِلِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا ، وَمِنْهُمْ
مَنْ يَمْشِي مَشْيًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَطِفُ خَطْفًا وَيُلْقَى
فِي جَهَنَّمَ فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلَالِيْبُ تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمَنْ مَرَّ عَلَى
الصَّرَاطِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ
وَالنَّارِ ، فَيُقْتَصَّرُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ ، فَإِذَا هَضَبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي
دُخُولِ الْجَنَّةِ .

وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتَحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَوَّلُ
مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْأُمَمِ أُمَّتُهُ ، وَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقِيَامَةِ
ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ : أُمَّا الشَّفَاعَةُ الْأُولَى فَيُشْفَعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى يَقْضَى
بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الْأَنْبِيَاءُ ، آدَمُ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى
ابْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ .

قوله (والصراط منصوب الخ) أصل الصراط الطريق الواسع
قليل سمى بذلك لأنه يسترط السابلة ، أى يبتلعهم إذا سلكوه ، وقد
يستعمل في الطريق المعنوى كما في قوله تعالى (وأن هذا صراطى
مستقيما فاتبعوه) .

والصراط الاخرى الذى هو الجسر الممدود على ظهر جهنم بين
الجنة والنار حق لا ريب فيه لورود خبر الصادق به ومن استقام
على صراط الله الذى هو دينه الحق فى الدنيا استقام على هذا الصراط
فى الآخرة وقد ورد فى وصفه أنه أرق من الشعرة وأحد من السيف .

قوله (وأول من يستفتح باب الجنة محمد صلى الله عليه وسلم)
يعنى أول من يحرك حلقتها طالبا أن يفتح له بابها كما قال عليه السلام

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ فَيُشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ،
وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ .

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّلَاثَةُ فَيُشْفَعُ فِيْمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ
لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَغَيْرِهِمْ ، فَيُشْفَعُ فِيْمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ
أَنْ لَا يَدْخُلَهَا ، وَيُشْفَعُ فِيْمَنْ فَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا .

« أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من تنشق عنه
الارض ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فأدخلها ويدخلها معي
فقراء أمتي » يعنى بعد دخول الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام
يكون فقراء هذه الامة أول الناس دخولا الجنة .

وأما قوله (وله صلى الله عليه وسلم في القيامة ثلاث شفاعات)
فأصل الشفاعة من قولنا : شفع كذا بكذا إذا ضمه إليه ، وسمى
الشافع شافعا لأنه يضم طلبه ورجاءه الى طلب المشفوع له .

والشفاعة من الأمور التي ثبتت بالكتاب والسنة ، وأحاديثها
متواترة قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) فنفى الشفاعة
بلا اذن اثبات للشفاعة من بعد الاذن قال تعالى عن الملائكة (وكم
من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله
لمن يشاء ويرضى) فبين الله الشفاعة الصحيحة وهي التي تكون
بإذنه ولمن يرتضى قوله وعمله .

وأما ما يتمسك به الخوارج والمعتزلة في نفي الشفاعة من مثل
قوله تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) (ولا يقبل منها عدل ولا
تنفعها شفاعة — فمالنا من شافعين الخ) . فان الشفاعة المنفية هنا
هي الشفاعة في أهل الشرك . وكذلك الشفاعة الشركية التي يثبتها
المشركون لأصنامهم ويثبتها النصارى للمسيح والرهبان ، وهي التي
تكون بغير إذن الله ورضاه .

وأما قوله (أما الشفاعة الاولى فيشفع في أهل الموقف حتى

وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَيَبْقَى
فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، فَيُنْشِئُ اللَّهُ لَهَا أَقْوَامًا
فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ .

وَأَصْنَافٌ مَّا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ

يقضى بينهم) فهذه هي الشفاعة العظمى وهي المقام المحمود الذي
يغبطه به النبيون والذي وعده الله أن يبعثه إياه بقوله (عسى أن يبعثك
ربك مقاما محمودا) يعنى يحمده عليه أهل الموقف جميعا وقد أمرنا
نبينا صلى الله عليه وسلم إذا سمعنا النداء أن نقول بعد الصلاة عليه
« اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة
الفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته . وأما قوله (وأما الشفاعة
الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة) يعنى أنهم وقد استحقوا
دخول الجنة لا يؤذن لهم بدخولها الا بعد شفاعة .

وأما قوله (وهاتان الشفاعتان خاصتان له) يعنى الشفاعة في
أهل الموقف والشفاعة في أهل الجنة أن يدخلوها ، وتنضم اليهما الثالثة
وهي شفاعته في تخفيف العذاب عن بعض المشركين كما في شفاعته
لعمه أبى طالب فيكون في ضحضاح من نار . كما ورد بذلك الحديث
وأما قوله (وأما الشفاعة الثالثة فيشفع في من استحق النار)
وهذه هي الشفاعة التى ينكرها الخوارج والمعتزلة ، فان مذهبهم أن
من استحق النار لا بد أن يدخلها ومن دخلها لا يخرج منها لا بشفاعة
ولا بغيرها والاحاديث المستفيضة المتواترة ترد على زعمهم وتبطله .

وأما قوله (وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب الخ)
فأعلم أن أصل الجزاء على الأعمال خيرها وشرها ثابت بالعقل كما
هو ثابت بالسمع ، وقد نبه الله العقول الى ذلك في مواضع كثيرة من
كتابه مثل قوله تعالى (أمحسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا

وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكِتَابِ الْمُنْزَلَةِ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْآثَارِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ . وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي فَمَنْ ابْتِغَاهُ وَجَدَهُ .

« وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِالْقَدْرِ خَيْرُهُ
وَشَرُّهُ . وَالْإِيمَانُ بِالْقَدْرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ .

فَالدَّرَجَةُ الْأُولَى الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِيمٌ بِالْخَلْقِ وَهُمْ عَامِلُونَ
بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزْلًا وَأَبَدًا وَهَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مِنْ
الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالْأَرْزَاقِ وَالْأَجَالِ ثُمَّ كَتَبَ اللَّهُ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ
مَقَادِيرَ الْخَلْقِ فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ اكْتُبْ قَالَ مَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ

ترجعون) (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) فانه لا يليق في حكمة
الحكيم أن يترك الناس سدى مهملين ، لا يؤمرون ولا ينهون ، ولا يثابون
ولا يعاقبون ، كما لا يليق بعدله وحكمته أن يسوى بين المؤمن
والكافر والبر والفاجر كما قال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) فان
المقول الصحيحة تأبى ذلك وتنكره اشد الانكار .

وكذلك نبههم الله على ذلك بما وقع من أيامه في الدنيا من اكرام
الطائمين ، وخذلان الطاغين ، وأما تفاصيل الاجزية ومفاديرها
فلا يدرك الا بالسمع ، والنقول الصحيحة من المعصوم الذي لا ينطق
عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله .

والايمان بالقدر خيره وشره من الله تبارك وتعالى أحد الاركان
الستة التي يدور عليها ملك الايمان كما دل عليه حديث جبريل وغيره
وكما دلت عليه الايات الصريحة من كتاب الله عز وجل .

اَكْتُبَ مَا هُوَ كَائِنٌ اِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . فَمَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ
وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ . جَنَّتِ الْأَقْلَامُ وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ كَمَا قَالَ
تَعَالَى (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ
إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) وَقَالَ (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا
فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)
وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً
فَقَدْ كَتَبَ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ ، وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ
نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكاً فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيَقَالُ لَهُ اكْتُبْ

وقد ذكر المؤلف هنا أن الإيمان بالقدر على درجتين وأن كلا
منهما تتضمن شيئين ، فالدرجة الأولى تتضمن أولاً الإيمان بعلمه
القديم المحيط بجميع الأشياء وأنه تعالى علم بهذا العلم القديم الموصوف
به أزلاً وأبداً كل ما سيمضيه الخلق فيما لا يزال وعلم به جميع أحوالهم
من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال . فكل ما يوجد من أعيان
وأوصاف ويقع من أفعال وأحداث فهو مطابق لما علمه الله عز وجل أزلاً
ثانياً أن الله كتب ذلك كله وسجله في اللوح المحفوظ ، فما علم
الله كونه ووقوعه من مقادير الخلائق وأصناف الموجودات وما يتبع
ذلك من الأحوال والأوصاف والأفعال ودقيق الأمور وجليها قد
أمر القلم بكتابته كما قال صلى الله عليه وسلم قدر الله مقادير الخلائق
قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على
الماء ، وكما قال في الحديث الذي ذكره المؤلف أن أول ما خلق الله القلم
قال له اكتب قال وما اكتب قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة .

وأول هنا بالنصب على الظرفية والعامل فيه قال أي له ذلك
أول ما خلقه وقد روى بالرفع على أنه مبتدأ خبره القلم ولهذا اختلف
العلماء في العرش والقلم أيهما خلق أولاً . وحكى الملامة ابن القيم في
ذلك قولين واختار أن العرش مخلوق قبل القلم ، قال في النونية :

رِزْقُهُ وَأَجَلُهُ وَعَمَلُهُ وَشَقِيَّتُهُ أَمْ سَعِيدٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَهَذَا التَّقْدِيرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غَلَاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا وَمُنْكِرُوهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَّةُ : فَهِيَ مِثْلِيَّةُ اللَّهِ النَّافِذَةُ وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ وَهُوَ الْإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سَكُونٍ إِلَّا بِمِثْلِيَّةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ . وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ لَا خَالِقَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ . وَمَعَ ذَلِكَ نَقَدَ

وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذِي	كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدِّيَانِ
هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ	قَوْلَانِ عِنْدَ أَبِي الْحَلَا هَمْدَانِي
وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلَ لَأَنَّهُ	وَقْتُ الْكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَانِ
وَكِتَابَةُ الْقَلَمِ الشَّرِيفِ تَعَقَّبَتْ	إِيجَادَهُ مِنْ غَيْرِ فَصْلٍ زَمَانِ

وَإِذَا كَانَ الْقَلَمُ قَدْ جَرَى بِكُلِّ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فُكِّلَ مَا يَقَعُ مِنْ كَائِنَاتٍ وَاحْدَاتٍ فَهُوَ مُطَابِقٌ لِمَا كُتِبَ فِيهِ ، فَمَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيَخْطِئَهُ ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِهِ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَغَيْرِهِ .

وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِلْعِلْمِ الْقَدِيمِ قَارَةٌ يَكُونُ جُمْلَةً كَمَا فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ فَإِنَّ فِيهِ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَيَكُونُ فِي مَوَاضِعٍ تَفْصِيلًا يَخْصِي كُلَّ فَرْدٍ كَمَا فِي الْكَلِمَاتِ الْأَرْبَعِ الَّتِي يُؤَمِّرُ الْمَلِكُ بِكِتَابَتِهَا عِنْدَ نَفْخِ الرُّوحِ فِي الْجَنِينِ يَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيَّتَهُ أَمْ سَعِيدٌ فَهَذَا تَقْدِيرٌ خَاصٌّ وَهَذَا التَّقْدِيرُ السَّابِقُ عَلَى وَجُودِ الْأَشْيَاءِ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غَلَاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا مِثْلَ مَعْبِدِ الْجَهَنِيِّ وَغِيلَانَ الدَّمَشَقِيِّ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَنَّ الْأَمْرَ أَنْفٌ . وَمُنْكَرُ هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ الْقَدَرِ كَافِرٌ لِأَنَّهُ أَنْكَرَ مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ قَدْ ثَبَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ .

أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ . وَهُوَ سُبْحَانَهُ
يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمَحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَلَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ وَلَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ، وَلَا
يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَلَا يُحِبُّ الْفَسَادَ .

قوله : (وأما الدرجة الثانية من القدر ... الخ) فهي تتضمن شيئين
أيضا أولهما الايمان بعموم مشيئته تعالى وأن ما شاء كان وما لم
يشأ لم يكن وأنه لا يقع في ملكه ما لا يريد وأن أفعال العباد من
الطاعات والمعاصي واقعة بتلك المشيئة العامة التي لا يخرج عنها
كائن سواء كان مما يحبه الله ويرضاه أم لا ، وثانيهما الايمان بأن
جميع الاشياء واقعة بقدرة الله تعالى وانها مخلوقة له لا خالق لها
سواه ، لا فرق في ذلك بين أفعال العباد وغيرها ، كما قال تعالى
(والله خلقكم وما تعملون) .

ويجب الايمان بالامر الشرعى ، وأن الله تعالى كلف العباد فأمرهم
بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته ولا منافاة أصلا بين ما ثبت
من عموم مشيئته سبحانه لجميع الاشياء وبين تكليفه العباد بما شاء
من أمر ونهى ، فان تلك المشيئة لا تنافي حرية العبد واختياره للفعل
ولهذا جمع الله بين المشيئتين بقوله (لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما
تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين) .

كما انه لا تلازم بين تلك المشيئة وبين الامر الشرعى المتعلق
بما يحبه الله ويرضاه ، فقد يشاء الله ما لا يحبه ويحب ما لا يشاء كونه
(فالاول) كمشيئته وجود ابليس وجنوده (والثانى) كمحبة ايمان
الكفار وطاعات الفجار وعدل الظالمين وتوبة الفاسقين ولو شاء
ذلك لوجد كله ، فانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً وَاللَّهُ خَالِقُ أَعْمَالِهِم وَالْعَبْدُ هُوَ الْمُؤْمِنُ

وكذلك لا منافاة بين عموم خلقه تعالى لجميع الاشياء وبين كون العبد فاعلا لفعله ، فالعبد هو الذى يوصف بفعله فهو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلى والصائم ، والله خالقه وخالق فعله لانه هو الذى خلق فيه القدرة والارادة اللتين بهما يفعل .

يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدى غفر الله له وأجزل مثوبته :

ان العبد اذا صلى وصام وفعل الخير أو عمل شيئا من المعاصي كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح ، وذلك العمل السيئ . وفعله المذكور بلا ريب قد وقع باختياره وهو يحس ضرورة أنه غير مجبور على الفعل أو الترك وأنه لو شاء لم يفعل وكان هذا هو الواقع فهو الذى نص الله عليه فى كتابه ونص عليه رسوله حيث أضاف الاعمال صالحها وسيئها الى العباد وأخبر أنهم الفاعلون لها وأنهم مدوحون عليها ان كانت سالحة ومثابون ، وملومون عليها ان كانت سيئة ومعاقبون عليها .

فقد تبين واتضح بلا ريب أنها واقعة منهم باختيارهم وأنهم اذا شاءوا فعلوا واذا شاءوا تركوا ، وان هذا الامر ثابت عقلا وحسا وشرعا ومشاهدة .

ومع ذلك اذا اردت ان تعرف أنها وان كانت كذلك واقعة منهم كيف تكون داخلة فى القدر وكيف تشملها المشيئة ؟ فيقال بآى شئ وقعت هذه الاعمال الصادرة من العباد خيرها وشرها ؟ فيقال بقدرتهم وارادتهم ، هذا يعترف به كل أحد ، فيقال : ومن خلق قدرتهم وارادتهم ومشيئتهم ؟ فالجواب الذى يعترف به كل احد ان الله هو

وَالْكَافِرُ وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ وَالْمُصَلِّيُّ وَالصَّائِمُ وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ
وَلَهُمْ إِرَادَةٌ وَاللَّهُ خَالِقُهُمْ وَقُدْرَتُهُمْ وَإِرَادَتُهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى (رَأَيْتَ شَاءَ
مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)

الذى خلق قدرتهم وارادتهم ، والذى خلق ما به تقع الافعال هو
الخالق للافعال فهذا هو الذى يحل الاشكال وينمكن العبد ان يعقل
بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار ، ومع ذلك فهو تعالى امد المؤمنين
بأسباب والطف واعانات متنوعة وصرف عنهم الموانع كما قال صلى
الله عليه وسلم (اما من كان من أهل السعادة فسييسر له عمل أهل
السعادة) وكذلك خذل الفاسقين ووكلمهم الى انفسهم لانهم لم يؤمنوا
به ولم يتوكلوا عليه فولاهم ما تولوا لانفسهم . اهـ)

وخلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في القدر وافعال العباد
ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة من أن الله سبحانه هو الخالق
لكل شيء من الاعيان والاصناف والافعال وغيرها وان مشيئته تعالى
عامة شاملة لجميع الكائنات فلا يقع منها شيء الا بتلك المشيئة وان
خلقه سبحانه الاشياء بمشيئته انما يكون وفقا لما علمه منها بعلمه
القديم ، ولما كتبه وقدره في اللوح المحفوظ وأن للعباد قدرة وارادة
تقع بها افعالهم وانهم الفاعلون حقيقة لهذه الافعال بمحض اختيارهم
وانهم لهذا يستحقون عليها الجزاء اما بالمدح والمثوبة واما بالذم
والعقوبة وأن نسبة هذه الافعال الى العباد فعلا لا ينافي نسبتها الى
الله ايجادا وخلقاً لانه هو الخالق لجميع الاسباب التى وقعت بها .

وضل في القدر طائفتان كما نقدم (الطائفة الاولى) القدرية نفاة
القدر الذين هم مجوس هذه الامة كما ورد ذلك في بعض الاحاديث
مرفوعا وموقوفنا وهؤلاء ضلوا بالتفريط وانكار القدر وزعموا أنه

وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدْرِ يَكْذِبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْرُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ
الْإِثْبَاتِ حَتَّى سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَعْمَالِ اللَّهِ
وَأَحْكَامِهِ حُكْمَهَا وَمَصَالِحَهَا .

(فَضْلٌ)

وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ. قَوْلُ
الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ
بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكْفَرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ
الْمَعَاصِي وَالْكِبَائِرِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ بَلِ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي

لا يمكن الجمع بين ما هو ثابت بالضرورة من اختيار العبد في فعله
ومسئوليته عنه ، وبين ما دلت عليه النصوص من عموم خلقه تعالى
مشيئته لان ذلك العموم في زعمهم ابطال لمسئولية العبد عن فعله
وهدم للتكاليف فرجحوا جانب الامر والنهي وخصصوا النصوص الدالة
على عموم الخلق والمشيئة بما عدا أفعال العباد وأثبتوا ان العبد
خالق لفعله بقدرته واراادته ، فأثبتوا خالقين غير الله ولهذا سموا
مجوس هذه الامة ، لان المجوس يزعمون ان الشيطان يخلق الشر
والاشياء المؤذية ، فجعلوه خالقا مع الله ، فكذلك هؤلاء جعلوا العباد
خالقين مع الله .

(والطائفة الثانية) يتنال لها الجبرية وهؤلاء غلوا في اثبات القدر
حتى أنكروا ان يكون للعبد فعل حقيقة بل هو في زعمهم لا حرية له
ولا اختيار ولا فعل كالريشة في مهب الرياح وانما تسند الافعال اليه
مجازا فيقال صلى وصام وقتل وسرق كما يقال طلعت الشمس وجرت
الرياح ونزل المطر . فاتهموا ربهم بالظلم وتكليف العباد بما لا قدرة
لهم عليه ، ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم ، واتهموه بالعصبية في

كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ (فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ) وَقَالَ
(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا
عَلَى الْأُخْرَى . ففَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ
فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)

تكليف العباد وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي إلا ساء ما يحكمون .
سبق أن ذكرنا في مسألة الاسماء والاحكام أن أهل السنة والجماعة
يعتقدون أن الايمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالاركان وأن
هذه الثلاثة داخلة في مسمى الايمان المطلق . فالايان المطلق يدخل
فيه جميع الدين ظاهره وباطنه أصوله وفروعه ، فلا يستحق اسم
الايمان المطلق الا مع جمع ذلك كله ولم ينقص منه شيئا .

ولما كانت الاعمال والاقوال داخلة في مسمى الايمان كان الايمان
قابلا للزيادة والنقص ، فهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية كما هو
صريح الأدلة من الكتاب والسنة وكما هو ظاهر مشاهد من تفاوت
المؤمنين في عقائدهم وأعمال قلوبهم وأعمال جوارحهم .

ومن الأدلة على زيادة الايمان ونقصه أن الله قسم المؤمنين ثلاث
طبقات فقال سبحانه (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله)
فالسابقون بالخيرات هم الذين أدوا الواجبات والمستحبات وتركوا
المحرمات والمكروهات وهؤلاء هم المقربون . والمقتصدون هم الذين
اقتصروا على أداء الواجبات وترك المحرمات . والظالمون لانفسهم هم
الذين اجتروا على بعض المحرمات وقصروا ببعض الواجبات مع بقاء
اصل الايمان معهم .

ومن وجوه زيادته ونقصه كذلك أن المؤمنين متفاوتون في علوم
الايمان فمنهم من وصل اليه من تفاصيله وعقائده خير كثير فازداد به

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمَلِيَّ الْإِسْلَامَ بِالْكُلِّيَّةِ وَلَا يُخْلِدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُ الْمَعْتَزِلَةُ بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمَطْلُوقِ كَمَا فِي قَوْلِهِ (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ) وَقَدْ

إيمانه وتم يقينه ومنهم من هو دون ذلك حتى يبلغ الحال ببعضهم أن لا يكون معه الا ايمان اجمالى لم يتيسر له من التفاصيل شىء ، وهو مع ذلك مؤمن . وكذلك هم متفاوتون فى كثير من أعمال القلوب والجوارح وكثرة الطاعات وقلتها .

وأما من ذهب الى أن الايمان مجرد التصديق بالقلب وأنه غير قابل للزيادة أو النقص كما يروى عن أبى حنيفة وغيره فهو محجوج بما ذكرنا من الأدلة قال عليه السلام (الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) ومع أن الايمان المطلق مركب من الأقوال والأعمال والاعتقادات فهي ليست كلها بدرجة واحدة ، بل العقائد أصل فى الايمان فمن أنكر شيئاً مما يجب اعتقاده فى الله أو ملائكته أو كتبه أو رسله أو اليوم الآخر أو مما هو معلوم من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والزكاة وحرمة الزنا والقتل الخ فهو كافر قد خرج من الايمان بهذا الإنكار .

وأما الفاسق الملى الذى يرتكب بعض الكبائر مع اعتقاده حرمتها فأهل السنة والجماعة لا يسلبون عنه اسم الايمان بالكلية ولا يخلدونه فى النار كما تقول المعتزلة والخوارج بل هو عندهم مؤمن ناقص الايمان قد نقص من إيمانه بقدر معصيته أو هو مؤمن فاسق فلا يعطونه اسم الايمان المطلق ولا يسلبونه مطلق الايمان .

وأدلة الكتاب والسنة دالة على ما ذكره المؤلف رحمه الله من ثبوت مطلق الايمان مع المعصية قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) فناداهم باسم الايمان مع وجود

لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمَطْلَقِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَنْتَهَبُ نَهْبًا ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ) .

وَنَقُولُ هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكِبِيرَتِهِ ، فَلَا يُعْطَى الْاسْمَ الْمَطْلَقَ وَلَا يُسَلَّبُ مُطْلَقَ الْاسْمِ .

(فَهَلْ)

« وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَالسِّفَاتِ لِلْأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ

الرَّحِيمُ) وَهِيَ مَوَالاةُ الْكُفَّارِ مِنْهُمْ الْخ .

(فائدة) الْإِيمَانُ وَالْإِسْلَامُ الشَّرْعِيَانِ مُتَلَازِمَانِ فِي الْوُجُودِ فَلَا يُوْجَدُ أَحَدُهُمَا بِدُونِ الْآخَرِ بَلْ كِلَاهُمَا وَجَدَ إِيْمَانٌ صَحِيحٌ مُتَقَدِّمٌ بِهِ وَجَدَ مَعَهُ إِسْلَامٌ وَكَذَلِكَ الْعَكْسُ وَلِهَذَا قَدْ يَسْتَفْنِي بِذِكْرِ أَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ لِأَنَّ أَحَدَهُمَا إِذَا أَفْرَدَ بِالذِّكْرِ دَخَلَ فِيهِ الْآخَرُ وَأَمَّا إِذَا ذُكِرَا مَعًا مَقْتَرْنَيْنِ أُرِيدَ بِالْإِيمَانِ التَّصَدِيقُ وَالْإِعْتِقَادُ وَأُرِيدَ بِالْإِسْلَامِ الْإِنْقِيَادُ الظَّاهِرِيُّ مِنَ الْأَقْرَارِ بِاللِّسَانِ وَعَمَلِ الْجَوَارِحِ . وَلَكِنْ هَذَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَطْلَقِ الْإِيمَانِ أَمَّا الْإِيمَانُ الْمَطْلَقُ فَهُوَ أَخْصَ مَطْلَقًا مِنَ الْإِسْلَامِ وَقَدْ يُوْجَدُ الْإِسْلَامُ بِدُونِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) فَاخْبِرْ بِأَسْلَامِهِمْ مَعَ نَفْيِ الْإِيمَانِ عَنْهُمْ . وَفِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ ذَكَرَ الْمَرَاتِبَ الثَّلَاثَ الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانُ وَالْأَحْسَانُ فَدَلَّ

رَحِيمٌ) وَطَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ) وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ وَيَفْضَلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَهُوَ صَلَاحُ الْحَدِيثِيَّةِ وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلَ ، وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ

على ان كلا منها اخص مما قبله

يقول المؤلف ان من اصول اهل السنة والجماعة التي فارقوا بها من عداهم من اهل الزيغ والضلال انهم لا يزرون بأحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يطعنون عليه ولا يحملون له حقدا ولا بغضا ولا احتقارا فقلوبهم والسنتهم من ذلك كله براء ولا يقولون فيهم الا ما حكاه الله عنهم بقوله (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) الآية . فهذا الدعاء الصادر ممن جاء بعدهم ممن اتبعوهم باحسان يدل على كمال محبتهم لاصحاب رسول الله وثنائهم عليهم وهم اهل لذلك الحب والكرام لفضلهم وسنتهم وعظيم سابقتهم واختصاصهم بالرسول صلى الله عليه وسلم ولا حسانتهم الى جميع الامة لانهم هم المبلغون لهم جميع ما جاء به نبيهم فما وصل لاحد علم ولا خبر الا بواسطتهم وهم يوقرونهم ايضا طاعة لانبى صلى الله عليه وسلم حيث نهى عن سبهم والغض منهم ، وبين ان العمل القليل من احد اصحابه يفضل العمل الكثير من غيرهم وذلك لكمال اخلاصهم وصادق ايمانهم .

واما قوله (ويفضلون من أنفق من قبل الفتح) وهو صلح الحديبية — وقاتل ، على من أنفق من بعده وقاتل) فقد ورد النص القرآني بذلك قال تعالى في سورة الحديد (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله

وَكَانُوا ثَلَاثِمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ « أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ »
 وَيَأْنُهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ
 وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 كَالْعَشْرَةِ وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ .
 وَيَقْرُونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ
 عُمَرُ وَيُثَلَّثُونَ بِعُثْمَانَ وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَثَارُ
 وَكَمَا أَجْمَعَ -

الحسنى) وأما تفسير الفتح بصلح الحديبية فذلك هو المشهور وقد
 صح أن سورة الفتح نزلت عقبيه . وسمى هذا الصلح فتحا لما ترتب
 عليه من نتائج بعيدة المدى في عزة الاسلام وقوته وانتشاره ودخول
 الناس فيه .

وأما قوله (ويقدمون المهاجرين على الانصار) فلان المهاجرين
 جمعوا الوصفين النصر والهجرة ، ولهذا كان الخلفاء الراشدون
 وبقية العشرة من المهاجرين وقد جاء القرآن بتقديم المهاجرين على
 الانصار في سورة التوبة والحشر وهذا التفضيل انما هو للجملة على
 الجملة فلا ينافى أن في الانصار من هو افضل من بعض المهاجرين .
 وقد روى عن ابي بكر انه قال في خطبته يوم السقيفة (نحن
 المهاجرون واول الناس اسلاما اسلمنا قبلكم وقدمنا في القرآن عليكم
 فنحن الامراء وانتم الوزراء) .

وأما قوله (ويؤمنون بأن الله قال لاهل بدر الخ) فقد ورد أن
 عمر رضى الله عنه لما اراد قتل حاطب بن ابي بلتعمة وكان قد شهد
 بدرًا لكتابته كتابا الى قريش يخبرهم فيه بمسير الرسول صلى الله عليه

الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدْ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا — بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ — أَيُّهُمَا أَمْضَلُ ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَنُوا وَرَبَّعُوا بِعَلِيٍّ. وَقَدَّمَ قَوْمٌ —

وسلم فقال له الرسول « وما يدريك يا عمر لعل الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

وأما قوله « وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة الخ » فلاخباره صلى الله عليه وسلم بذلك ولقوله تعالى « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة » الآية . فهذا الرضى مانع من ارادة تعذيبهم ومستلزم لآكرامهم ومثوبتهم .

وأما قوله ويشهدون بالجنة لمن شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم كالعشرة وثابت بن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة (أما العشرة فهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح ، وأما غيرهم فكثابت بن قيس وعكاشة بن محصن وعبد الله بن سلام وكل من ورد الخبر الصحيح بأنه من أهل الجنة .

وأما قوله (ويؤمنون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين على ابن أبي طالب وغيره من أن خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر وعمر فقد ورد أن عليا رضى الله عنه قال ذلك على منبر الكوفة وسمعه منه الجهم الغفير وكان يقول (مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى علمنا أن افضلنا بعده أبو بكر وما مات أبو بكر حتى علمنا أن افضلنا بعده عمر) .

وأما قوله (ويثلاثون ويربعون بعلى الخ) فمذهب جمهور أهل السنة أن ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل على حسب ترتيبهم

عَلِيًّا وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا ، لَكِنْ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ
ثُمَّ عَلِيٍّ ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ — مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ لَيْسَتْ مِنْ
الْأَصُولِ الَّتِي يُضَلُّ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ لَكِنْ الَّتِي
يُضَلُّ فِيهَا مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ وَمَنْ
طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارٍ أَهْلِهِ .

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ وَيَحْفَظُونَ
فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ (أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي)

فِي الْخِلَافَةِ وَهُمْ لِهَذَا يَفْضَلُونَ عُثْمَانَ عَلَى عَلِيٍّ مُحْتَجِّينَ بِتَقْدِيمِ الصَّحَابَةِ
عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ عَلَى عَلِيٍّ وَبَعْضُ أَهْلِ السُّنَّةِ يَفْضَلُ عَلِيًّا لِأَنَّهُ يَرَى أَنَّ
مَا وَرَدَ مِنَ الْآثَارِ فِي مَزَايَا عَلِيٍّ وَمَنَاقِبِهِ أَكْثَرُ . وَبَعْضُهُمْ يَتَوَقَّفُ فِى
ذَلِكَ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَمَسْأَلَةُ التَّفْضِيلِ لَيْسَتْ كَمَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ مِنْ مَسَائِلِ
الْأَصُولِ الَّتِي يَضَلُّ فِيهَا الْمُخَالِفُ وَأَمَّا هِيَ مَسْأَلَةُ فِرْعَوِيَّةٍ يَتَسَمَّعُ لَهَا
الْخِلَافُ ، وَأَمَّا مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ فَيَجِبُ الْإِعْتِقَادُ بِأَنَّ خِلَافَةَ عُثْمَانَ كَانَتْ
صَحِيحَةً لِأَنَّهَا كَانَتْ بِمَشْهُورَةٍ مِنَ السُّنَّةِ الَّذِينَ عَيْنَهُمْ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ لِيُخْتَارُوا الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ خِلَافَةَ عُثْمَانَ كَانَتْ بَاطِلَةً
وَأَنَّ عَلِيًّا كَانَ أَحَقَّ بِالْخِلَافَةِ مِنْهُ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ يَغْلِبُ عَلَيْهِ التَّشْيِيعُ
مَعَ مَا فِي قَوْلِهِ مِنْ أَزْرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ .

أَهْلُ بَيْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُمْ مَنْ تَحْرَمُ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ وَهُمْ آلُ
عَلِيٍّ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ الْعَبَّاسِ وَكُلُّهُمْ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَيُلْحَقُ بِهِمْ
بَنُو الْمُطَلِبِ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (أَنَّهُمْ لَمْ يَفَارِقُونَا جَاهِلِيَّةً وَلَا إِسْلَامًا)
فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَرْعَوْنَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ وَقَرَابَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا يُحِبُّونَهُمْ لِإِسْلَامِهِمْ وَمُسَبِّقَتِهِمْ وَحَسَنَ بِلَائِهِمْ فِي نَصْرَةِ
دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَغَدِيرِ خُمٍّ (بِضَمِّ الْخَاءِ) قِيلَ اسْمُ رَجُلٍ صَبَاغٌ أَضْيَفُ

وَقَالَ أَيْضاً لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ . وَقَدْ اشْتَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ
يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ - فَقَالَ (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ
لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي) وَقَالَ (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي
إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشاً وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي
هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ) .

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ
وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُمْ أَزْوَاجُهُ فِي الْآخِرَةِ خُصُوصاً خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أُمُّ
أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاصِدَهُ عَلَى أَمْرِهِ وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ

اليه الغدير الذي بين مكة والمدينة بالجحفة . وقيل خم اسم غيضة هناك
نسب اليها الغدير ، والغليضة الشجر الملتف .

وأما قوله عليه السلام لعمه (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى
يُحِبُّوكُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي) فمعناه لا يتم إيمان أحد حتى يحب أهل بيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أولا لانهم من أوليائه وأهل طاعته
الذين تجب محبتهم وموالاتهم فيه . وثانيا لمكانهم من رسول الله صلى
الله عليه وسلم واتصال نسبهم به .

أزواجه صلى الله عليه وسلم هن من تزوجهن بنكاح فأولهن
خديجة بنت خويلد رضى الله عنها تزوجها بمكة قبل البعثة وكانت سنه
خمسا وعشرين وكانت هى تكبره بخمسة عشر عاما ولم يتزوج عليها
حتى توفيت وقد رزق منها بكل أولاده الا إبراهيم وكانت أول من آمن به
وقواه على احتمال أعباء الرسالة وقد ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين
عن خمس وستين سنة فتزوج بعدها سودة بنت زمعة وعقد على
عائشة رضى الله عنها وكانت بنت ست سنين حتى اذا هاجر الى المدينة
بنى بها وهى بنت تسع . ومن زوجاته أيضا أم سلمة رضى الله عنها
تزوجها بعد زوجها أبى سلمة وزينب بنت جحش تزوجها بعد تطليق

الْعَالِيَةِ ، وَالصَّدِيقَةَ بِنْتَ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطُّعَامِ) .

وَيَتَّبِرُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرُّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْفِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ، وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَيَمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَيَقُولُونَ إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَاذِبٌ وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنَقَصَ وَغَيْرَ عَنِ وَجْهِهِ وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعذُورُونَ إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنِ كِبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ ، بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ وَلَهُمْ مِنَ السُّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةً مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ حَتَّى إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُمُ السَّيِّئَاتُ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ .

وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلٍ أُحْدِ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ

زيد ابن حارثة لها او على الاصح زوجه الله اياها . وجويرية بنت الحارث وصفية بنت حيي وحفصة بنت عمر وزينب بنت خزيمة وكلهن امهات المؤمنين ، وهن ازواجه صلى الله عليه وسلم في الآخرة وافضلهن على الاطلاق خديجة وعائشة رضى الله عنهما .

يريد ان اهل السنة والجماعة يتبرؤون من طريقة الروافض التي هي الغلو في علي واهل بيته وبفض من عداه من كبار الصحابة وسبهم وتكفيرهم . واول من سماهم بذلك زيد بن علي رحمه الله لانهم لما طلبوا منه ان يتبرأ من امامة الشيخين ابي بكر وعمر ليبايعوه ابي ذلك ففترقوا عنه فقال رفضتموني ، فمن يومئذ قيل لهم رافضة . وهم

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ أَوْ أَتَى
بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ
بِهِ عَنْهُ . فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ فَكَيْفَ الْأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا
مُجْتَهِدِينَ إِنْ أَصَابُوا فَلَهُمْ أَجْرَانِ وَإِنْ أَخْطَأُوا فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ وَالْخَطَأُ
مَغْفُورٌ .

فرق كثيرة منهم الغالية ومنهم دون ذلك .

ويتبرؤون كذلك من طريقة النواصب الذين ناصبوا أهل
بيت النبوة العدا لاسباب وأمور سياسية معروفة ولم يعد لهؤلاء
وجود الآن .

ويمسك أهل السنة والجماعة عن الخوض فيما وقع من نزاع بين
الصحابة رضى الله عنهم لاسيما ما وقع بين عليٍّ وطلحة والزبير بعد
مقتل عثمان وما وقع بعد ذلك بين عليٍّ ومعاوية وعمرو بن العاص
وغيرهم ويرون أن الآثار المروية في مساوئهم أكثرها كذب أو محرف
عن وجهه ، وأما الصحيح منها فيعذرونهم فيه ويقولون أنهم متأولون
مجتهدون ، وهم مع ذلك لا يدعون لهم القصبة من كبرار الذنوب
وصغارها ولكن ما لهم من السوابق والفضائل وصحبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم والجهاد معه قد يوجب مغفرة ما يصدر منهم من
زلات فهم بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير القرون وأفضلها
ومد أحدهم أو نصيفه أفضل من جبل أحد ذهباً يتصدق به من بعدهم
فسيئاتهم مغفورة إلى جانب حسناتهم الكثيرة .

يريد المؤلف رحمه الله أن ينفي عن الصحابة رضى الله عنهم أن
يكون أحدهم قد مات مصراً على ما يوجب سخط الله عليه من الذنوب
بل إذا كان قد صدر الذنب من أحدهم فعلاً فلا يخلو عن أحد هذه

ثُمَّ إِنَّ الْقَدَرَ الَّذِي يُنْكِرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزَرُ مَغْفُورٌ فِي جَنْبِ
 فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ
 وَالْهَجْرَةِ وَالنُّصْرَةِ وَالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ
 الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ وَمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ عِلْمٌ يَقِينٌ أَنَّهُمْ
 خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ . لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ ، وَأَنَّهُمْ الصَّفْوَةُ
 مِنْ شُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ .
 وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالتَّصَدِيقِ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَمَا يُجْرِي
 اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ .

الامور التي ذكرها فاما ان يكون قد تاب منه قبل الموت او اتى
 بحسنات تذهب به وتمحوه او غفر له بفضل سالفته في الاسلام كما غفر
 لاهل بدر واصحاب الشجرة او بشفاعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وهم اسعد الناس بشفاعته واحقهم بها او ابتلى ببلاء في الدنيا في نفسه
 او ماله او ولده فكفر عنه به . فاذا كان هذا هو ما يجب اعتقاده فيهم
 بالنسبة الى ما ارتكبوه من الذنوب المحققة فكيف في الامور التي
 هي موضع اجتهاد والخطأ فيها مغفور ، ثم اذا قيس هذا السذى
 اخطأوا فيه الى جنب ما لهم من محاسن وفضائل لم يعد ان يكسبون
 قطرة في بحر . فالله الذي اختار نبيه صلى الله عليه وسلم هو الذي
 اختار له هؤلاء الاصحاب ، فهم خير الخلق بعد الانبياء والصفوة المختارة
 من هذه الامة التي هي افضل الامم .

ومن تأمل كلام المؤلف رحمه الله في شأن الصحابة عجب أشد
 العجب مما يرميه به الجهلة المتعصبون وادعائهم عليه أنه يتهم على
 اقدارهم ويغض من شأنهم ويخرق اجماعهم الى آخر ما قالوه من
 مزاعم ومفتريات .

وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة ، ودلت الوقائع قديما

فِي أَنْوَاعِ الْمُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأَثِيرَاتِ وَالْمَأْثُورِ
عَنْ سَالِفِ الْأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ
مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ فِرْقِ الْأُمَّةِ وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ .

وحديثاً على وقوع كرامات لك لأوليائه المتبعين لهدى أنبيائهم ،
والكرامة أمر خارق للعادة يجريه الله على يد ولي من أوليائه ممنونة
له على أمر ديني أو دنيوي ، ويفرق بينها وبين المعجزة بأن المعجزة
تكون مقرونة بدعوى الرسالة بخلاف الكرامة .

ويتضمن وقوع هذه الكرامات حكم ومصالح كثيرة أهمها :

أولاً : أنها كالمعجزة تدل أعظم دلالة على كمال قدرة الله ونفوذ
مشيئته ، وأنه فعال لما يريد ، وأن له فوق هذه السنن والأسباب
المعتادة سنناً أخرى لا يقع عليها علم البشر ، ولا تدركها أعمالهم .
فمن ذلك قصة أصحاب الكهف ، والنوم الذي أوقعه الله بهم تلك المدة
الطويلة مع حفظه تعالى لأبدانهم من التثقل والفناء . ومنها ما أكرم
الله به مريم بنت عمران من إيصال الرزق إليها وهي في المحراب حتى
عجب من ذلك زكريا عليه السلام ، وسألها : أنى لك هذا ، وكذلك
حملها بعيسى بلا أب وولادتها آياء ، وكلامه في المهد وغير ذلك .

ثانياً : أن وقوع كرامات الأولياء هو في الحقيقة معجزة للأنبياء ،
لأن تلك الكرامات لم تحصل لهم إلا ببركة متابعتهم لأنبيائهم وسيرهم
على هديهم .

ثالثاً : أن كرامات الأولياء هي البشرية التي عجلها الله لهم في
الدنيا فان المراد بالبشرى كل أمر يدل على ولايتهم وحسن عاقبتهم
ومن جملة ذلك الكرامات .

(فَصْلٌ)

ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ اتَّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا وَاتَّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَاتَّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالُوا: عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعُضُّوا عَلَيْهَا بِالنُّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ. وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُؤَثِّرُونَ كَلَامَ اللَّهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيَقْدِّمُونَ هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هُدَى كُلِّ أَحَدٍ، وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الْإِجْمَاعُ وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ، وَالْإِجْمَاعُ هُوَ الْأَصْلُ الثَّلَاثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ، وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالْأَدِينِ. وَالْإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الْاِخْتِلَافُ وَانْتَشَرَ فِي الْأُمَّةِ.

هذا ولم تزل الكرامات موجودة لم تنقطع في هذه الأمة الى يوم القيامة والمشاهدة اكبر دليل ، وانكر الفلاسفة كرامات الاولياء كما انكروا معجزات الانبياء ، وانكر الكرامات أيضا المعتزلة وبعض الاشاعرة بدعوى التباسها بالمعجزة ، وهى دعوى باطلة ، لان الكرامة كما قلنا لا تقترن بدعوى الرسالة .

لكن يجب التنبيه الى ان ما يقوم به الدجاجلة والمشعوذون من اصحاب الطرق المبتدعة الذين يسمون انفسهم بالمتصوفة من اعمال ومخاريق شيطانية كدخول النار وضرب انفسهم بالسلاح والامساك بالثعابين والاخبار بالغيب الى غير ذلك ليس من الكرامات فى شيء

(فصل)

ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى مَا تَوْجِبُهُ الشَّرِيعَةُ ، وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمُعِ وَالْأَعْيَادِ مَعَ الْأَمْرَاءِ أَبْرَاراً كَانُوا أَوْ فُجَّاراً . وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً » وَتَشُبُّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ . وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ قَدَّاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ » وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلَاءِ وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرِّخَاءِ وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَابِسِ الْأَعْمَالِ وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً » وَيَنْذِبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَن قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ،

فإن الكرامة إنما تكون لاولياء الله بحق وهؤلاء اولياء الشيطان .

قوله (ثم من طريقة أهل السنة الخ) هذا بيان لمنهج أهل السنة والجماعة في استنباط الاحكام الدينية كلها ، اصولها وفروعها بعد طريقتهن في مسائل الاصول — وهذا المنهج يقوم على اصول ثلاثة : اولها — كتاب الله عز وجل الذي هو خير الكلام وأصدقاه ، فهم لا يقدمون على كلام الله كلام أحد من الناس . وثانيها — سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اثر عنه من هدى وطريقة لا يقدمون على ذلك هدى أحد من الناس . وثالثها — ما وقع عليه اجماع الصدر الاول من هذه الامة قبل التفرق والانتشار وظهور البدعة والمقاتلات ، وما جاءهم بعد ذلك مما قاله الناس وذهبوا اليه من المقاتلات ووزنوها بهذه الاصول الثلاثة التي هي الكتاب والسنة والاجماع ، فان وافقها قبلوه وان خالفها ردوه أيا كان قائله وهذا هو المنهج الوسط والصراط المستقيم

وَتَعَفُّوْا عَمَّنْ ظَلَمَكُمْ ، وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَحُسْنِ الْجَوَارِ
وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالرَّفْقِ بِالْمَلْسُوكِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ وَالْخِيَلَاءِ وَالْبَغْيِ وَالْاِسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقِّ أَوْ
بَغْيِ حَقِّ وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ سَفَسَافِهَا وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ
وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَطَرِيقَتِهِمْ
هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكِنَّا
أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ
فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ . وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ
« هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي » صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ
بِالْإِسْلَامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشُّوَبِ ، هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ،

الَّذِي لَا يَضِلُّ سَالِكُهُ وَلَا يَشْقَى مَنْ اتَّبَعَهُ ، وَبَيْنَ مَنْ يَتْلَعِبُ
بِالنُّصُوصِ فَيَتَأَوَّلُ الْكِتَابَ وَيُنْكِرُ الْإِحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ وَلَا يَعْبَأُ بِاجْمَاعِ
السَّلَفِ ، وَبَيْنَ مَنْ يَخْطُبُ خِطْبَ عَشَوَاءٍ فَيَتَقَبَّلُ كُلُّ رَأْيٍ وَيَأْخُذُ بِكُلِّ قَوْلٍ
لَا يَفْرُقُ فِي ذَلِكَ بَيْنَ غَثٍ وَنَسِيجٍ وَصَحِيحٍ وَسَقِيمٍ .

قوله (ثم هم مع هذه الأصول الخ) جمع المؤلف في هذا الفصل
جَمَاعَ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي يَتَخَلَّقُ بِهَا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنَ الْأَمْرِ
بِالْمَعْرُوفِ وَهُوَ مَا عَرَفَ حَسَنَهُ بِالْشَّرْعِ وَالْعَقْلِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَهُوَ كُلُّ قَبِيحٍ عَقْلًا وَشَرْعًا عَلَى حَسَبِ مَا تَوَجَّبَهُ الشَّرِيعَةُ مِنْ تِلْكَ
الْفَرِيضَةِ كَمَا يَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنَكْرًا فَلْيُغَيِّرْهُ
بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَافُ
الْإِيمَانِ » وَمِنْ شُهُودِ الْجَمْعِ وَالْجَمَاعَاتِ وَالْحُجِّ وَالْجِهَادِ مَعَ الْأَمْرَاءِ أَيْ
كَانُوا لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ « صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ » وَمَنِ النَّصِيحِ
لِكُلِّ مُسْلِمٍ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » وَمَنْ فَهَمَ صَحِيحِ
لَمَّا تَوَجَّبَهُ الْأَخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ مِنْ تَعَاظِفٍ وَتَوَادٍّ وَتَنَاصُرٍ كَمَا فِي هَذِهِ
الْإِحَادِيثِ الَّتِي يُشَبِّهُ فِيهَا الرَّسُولَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْبَنِيَانِ الْمَرْصُوعِ الْمُتَمَاسِكِ

وَفِيهِمُ الصَّدِيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ ، وَمِنْهُمْ أَعْلَامُ الْهُدَى وَمَصَابِيحُ الدُّجَى أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ ، وَفِيهِمُ الْإِبْدَالُ ، وَفِيهِمُ أُمَّةُ الدِّينِ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ ، وَهُمْ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ » .

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ وَأَنْ لَا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

اللبنيات أو بالجسد المترابط الاعضاء ومن دعوة الى الخير والى مكارم الاخلاق ، فهم يدعون الى الصبر على المصائب والشكر على النعماء والرضا بقضاء الله وقدره الى غير ذلك مما ذكره .

واما قوله (وفيهم الصديقون الخ) فالصديق صيغة مبالغة من الصديق يراد به الكثير التصديق وابو بكر رضى الله عنه هو الصديق الاول لهذه الامة ، واما الشهداء فهو جمع شهيد وهو من قتل في المعركة ، واما الابدال فهم جمع بدل وهم الذين يخلف بعضهم بعضا في تجديد هذا الدين والدفاع عنه كما في الحديث « يبعث الله لهذه الامة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها امر دينها » والله اعلم .

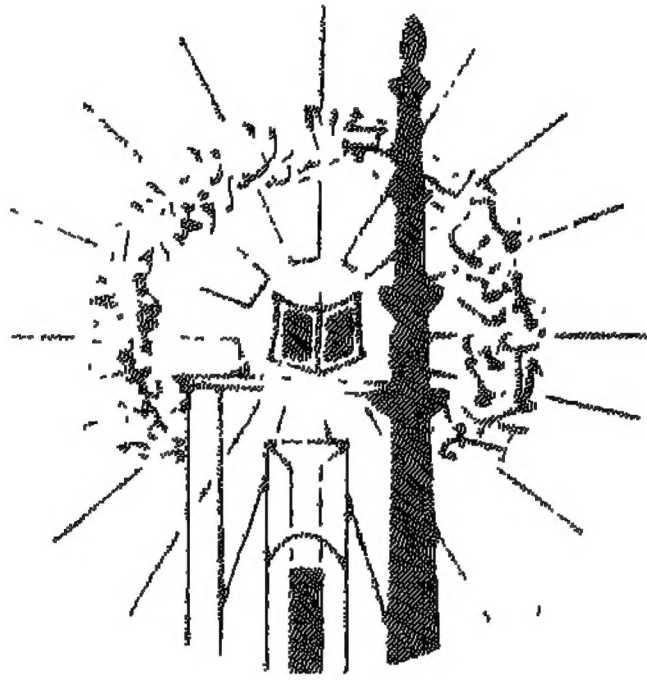
وصلّى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	الكلام على البسمة والترجيح بين الخلافات فيها
٧	تفسير الحمد والمدح والفرق بينهما
٨	الهدى — معناه وما يوصف به الرسول وما لا يوصف
١٠	لا اله الا الله — معناها ومكانها من الدين
١٢	الصلاة على الرسول — معناها اذا كانت من الملائكة او لادميين
١٣	تعريف الفرقة الناجية وانها باقية الى يوم القيامة
١٦	تفسير الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله
١٦	التحريف والتعطيل معناهما وانواعهما
١٨	تفسير الالحاد في الصفات وانواعه
٢٠	لا يجوز قياس الله سبحانه بخلقه
٢٥	سورة الاخلاص تضمنت صفات الله وهي تعدل ثلث القرآن
٢٨	آية الكرسي تفسيرها واثباتها للصفات
٣٠	هو الاول والآخر والظاهر والباطن ، وتفسيرها
٣٣	العلم صفة الله قائم بذاته
٣٥	اثبات صفتي السمع والبصر لله ، (ليس كمثله شيء)
٣٧	الارادة والمشيئة — الكونية والشرعية
٣٩	اثبات صفة الحب لله وبيان ما يحب ومن يحب
٤٣	الجواب عن آية (ومن يقتل مؤمنا متعمدا)
٤٥	(وجاء ربك) الرد على من زعم انه من المجاز
٤٦	اثبات الوجه لله والرد على المنكرين
٤٧	اثبات اليد لله والرد على المنكرين
٤٨	اثبات العين لله والرد على المنكرين

الصفحة	الموضوع
٤٩	اثبات السمع لله تعالى والرد على المنكرين
٥٨	(وما كان معه من اله) توضيح ذلك
٦٠	سبعة آيات في الاستواء على الجرش والكلام عايناً
٦١	كلام جيد في مسألة المكان لله تعالى
٦٣	آيات في اثبات علو الله على خلقه
٦٦	(ما يكون من نجوى) الخ — معناها ومعنى المعية
٦٧	اثبات صفة الكلام لله والرد على المخالفين
٧١	رؤية المؤمن لربه يوم القيامة والرد على النفاة
٧٣	مباحث عامة حول آيات الصفات
٧٦	السنة تؤيد القرآن في الصفات — احاديث نزوله تعالى
٧٩	فرحه سبحانه بتوبة عبده وضحكه
٨٤	حديث الجارية كونه تعالى في السماء
٨٨	ايمان اهل السنة بما تقدم ، جعلهم الوسط بين الطوائف
٩٠	افعال العبادة ومذهب الحق فيها
٩٤	بيان أن علوه تعالى لا يناقض معيته
٩٩	وجوب الايمان بما اخبر به الرسول مما يكون بعد الموت
١٠٤	للمرسول (ص) ثلاث شفاعات وبيان اصحابها
١٠٧	درجات الايمان بالقدر ، خيره وشره ، وبيانها
١١١	كلام جيد في مسألة افعال العبد مع القدر .
١١٣	الايمان قول وعمل يزيد وينقص
١١٦	سلامة قلوب اهل السنة للصحابة جميعها
١٢٠	اهل السنة يحبون اهل البيت ويتبرؤون ممن يعاديهم
١٢٢	امساك اهل السنة عن الخوض فيما شجر بين الصحابة
١٢٤	من اصول اهل السنة التصديق بكرامات الانبياء
١٢٦	طريقة اهل السنة اتباع آثار النبي بالذات وذاهه
١٢٧	اهل السنة يأدرون بالروايات وينفون عن المنكرات
	ويصبرون على البلاء
١٢٨	اهل السنة يأدرون ببر الوالدین وحساة الأرحام

دار الإعتصام
للطبع والنشر والتوزيع
القاهرة



من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة